دُروسٌ وعِبْرٌ
مِنْ مَواقف أَدبيّة
(وقعت في عهد النبي ﷺ)

بقلم

د. زين بن محمد بن حسين العيدروس

عفا الله تعالى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي بعث إلينا من يُبصرنا ويُنوّرنا، ويُسعدنا بتعاليمه القويمة، وإرشاداته العظيمة، فله سبحانه وتعالى الحمد، حمدَ من عجز عن شُكرِهِ وذكرِهِ، ونسأله أن يجزي عنّا نبيّنا وحبيبنا وشفيعنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمته، ورسُولاً عن قومه، أمّا بعد :

فهذه بعض مواقف ووقائع لها أثر، وعبرة لمن اعتبر، وطرائف تُستخرج منها دُرر، تدعوا للاقتفاء بمنهج سيّد البشر، وقعت في عهد النبي ﷺ، ذكرتُها كما ورَدت بإسنادها إلى قائل القصيدة، ثم علّقتُ عليها ما يُستفاد ويفاد، بأسلوب سَلِسٍ لعامة الناس؛ فإنّ النفوس للمواقف والقَصص مُتشوّقة، ولكن في طيّها دُروس نافعة، وللسلوك مُهذّبة، وقد أسميتها **(دروسٌ وعِبر من مواقف أدبيّة)** وقعت في عهد النبي ﷺ . أسأل الله تعالى لي الإخلاص والصدق فيما أختار وأنتقي من الإخبار، وأن ينفع الله بها الجميع من كافة الأعمار، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وقد مهّدتُ لهذا البحث بتمهيد ، وأحد عشر مبحثاً ، وخاتمة، كما يأتي :

التمهيد : الشعر في الإسلام

المبحث الأول: فضل القرض

المبحث الثاني: قراءة القران الكريم للجُنب

المبحث الثالث : عقوق الأبناء

المبحث الرابع : إسلام صِرْمَة بْنُ أَبِي أَنَسٍ وأبياته في مدح الحبيب ﷺ

المبحث الخامس: مدح الصحابة الكرام للنبي ﷺ

المبحث السادس: فضل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المبحث السابع: نُجدة المسلمين

المبحث الثامن: أهميّة الخطابة والشعر الحسن في الإسلام

المبحث التاسع: ببركة الحبيب المصطفى ﷺ يُسقى الناس

المبحث العاشر: كمال عفو الرسول ﷺ

المبحث الحادي عشر: الدفاع عن رسول الله ﷺ

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

التمهيد

الشعر في الإسلام

الشعر في الإسلام

كان العرب يتبارون بأشعارهم وخطبهم وأدبيّاتهم ، فهم مصاقِع لُسُن، أُوتوا قوة الفصاحة والبلاغة والبيان، ولهذا ورد في السنة ما يُؤيد التمكّن في الأدب والكلام ، واستخدامها في خدمة الإسلام ، ولهذا نزل الكتاب العزيز الفريد في كمال اللغة ، فهو أصلُها وأساسها، والناس يحتكمون إليه في دينهم ولغتهم، فقد ثبت أَنَّ ابْنَ عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: (إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ، فَالْتَمِسُوهُ بِالشِّعْرِ، فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيوَانُ الْعَرَبِ)[1] ، وثبت عن أُبَيّ بن كَعْبٍ رضي الله عنه أخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال :(**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً**) [2]، فالشعر وسيلة لغايات ، فإن كانت الغاية حسنة فهو حسن ، وإن كانت الغاية سيئة فهو سيء، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشِّعْرِ، فَقَالَ: (**هُوَ كَلَامٌ. فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ**)[3]، بل أُنشد الشعر في مسجد النبي ﷺ وبحضرته فعن سَعِيدِ بن الْمُسَيَّبِ . رحمه الله . قال :(مَرَّ عُمَر رضي الله عنه في الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ رضي الله عنه يُنْشِدُ، فقال :كنتُ أُنْشِدُ فيه، وَفِيهِ مَنْ هو خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فقال: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: (أَجِبْ عَنِّي، اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، قال: نعم)[4].

وقد عقد البخاري . رحمه الله . باباً في ما ورد في الشعر، فقال : بَاب ما يَجُوزُ من الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحُدَاءِ وما يُكْرَهُ منه، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [5] ، قال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: في كل لَغْوٍ يَخُوضُونَ. ثم أورد الحديث السابق ، وروى عن جُنْدَب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا النبي ﷺ يَمْشِي إِذْ أَصَابَهُ حَجَرٌ فَعَثَرَ فَدَمِيَتْ إِصْبَعُهُ فقال: هل أَنْتِ إلا إِصْبَعٌ دَمِيتِ * وفي سَبِيلِ اللَّهِ ما

---

(١) أخرجه الخطيب واللفظ له في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع٢/ ١٩٨، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن١/ ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأدب، بَاب ما يَجُوزُ من الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحُدَاءِ وما يُكْرَهُ منه ح ٥٧٩٣.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٨/ ٢٠٠، وحسّنه النووي وغيره. انظر: الأذكار ٢٩٩، وفتح الباري١٠/ ٥٣٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ك: بدء الخلق، بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ ح ٣٠٤٠.

(٥) سورة الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧.

لَقِيتِ[1].

قال الإمام النووي . رحمه الله . عن الشعر : (قَال الْعُلَمَاءُ كَافَّةً: هُوَ مُبَاحٌ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ فُحْشٌ وَنَحْوُهُ، قَالُوا: وَهُوَ كَلَامٌ حَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، فَقَدْ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ الشِّعْرَ وَاسْتَنْشَدَهُ، وَأَمَرَ بِهِ حَسَّانَ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْشَدَهُ أَصْحَابُهُ بِحَضْرَتِهِ فِي الْأَسْفَارِ وَغَيْرِهَا، وَأَنْشَدَهُ الْخُلَفَاءُ وَأَئِمَّةُ الصَّحَابَةِ وَفُضَلَاءُ السَّلَفِ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا الْمَذْمُومَ مِنْهُ وَهُوَ الْفُحْشُ وَنَحْوُهُ)[2].

وللإمام الحافظ ابن حجر . رحمه الله . كلام حسن في حكم الشعر وأحواله ننقله بطوله لأهميته : (قَالَ ابن بَطَّالٍ . رحمه الله .: مَا كَانَ فِي الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمٌ لَهُ، وَوَحْدَانِيَّتُهُ، وَإِيثَارُ طَاعَتِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ، فَهُوَ حَسَنٌ مُرَغَّبٌ فِيهِ، وَهُوَ المراد فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ حِكْمَةٌ، وَمَا كَانَ كَذِباً وَفُحْشاً فَهُوَ مَذْمُومٌ، قَالَ الطَّبَرِيُّ . رحمه الله .: فِي هَذَا الْحَدِيثِ رَدٌّ عَلَى مَنْ كَرِهَ الشِّعْرَ مُطْلَقاً، وَاحْتج بقول ابن مَسْعُودٍ ﷺ: الشِّعْرُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ. وَعَنْ مَسْرُوقٍ . رحمه الله . أَنَّهُ تَمَثَّلَ بِأَوَّلِ بَيْتِ شِعْرٍ ثُمَّ سَكَتَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ أَجِدَ فِي صَحِيفَتِي شِعْراً، وَعَنِ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ رَفَعَهُ:(أَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ: رَبِّ اجْعَلْ لِي قُرْآناً، قَالَ: قُرْآنُكَ الشِّعْرُ) ثُمَّ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهَا أَخْبَارٌ وَاهِيَةٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ فَحَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْهَانِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَعَلَى تَقْدِيرِ قُوَّتِهَا فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْإِفْرَاطِ فِيهِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ ..، وَيَدُلُّ عَلَى الْجَوَازِ سَائِرُ أَحَادِيثِ الْبَابِ، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: اسْتَنْشَدَنِي النَّبِيُّ ﷺ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ، فَأَنْشَدْتُهُ حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ قَافِيَةٍ، وَعَنْ مُطَرِّفٍ . رحمه الله . قَالَ: صَحِبْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ فَقَلَّ مَنْزِلٌ نَزَلَهُ إِلَّا وَهُوَ يُنْشِدُنِي شِعْراً، وَأَسْنَدَ الطَّبَرِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَمِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا الشِّعْرَ، وَأَنْشَدُوهُ وَاسْتَنْشَدُوهُ، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ عَنْ خَالِدِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابن عُمَرَ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ إِيَاسُ بْنُ خَيْثَمَةَ، فَقَالَ: أَلَا أَنْشُدُكَ مِنْ شِعْرِي، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَا تنشدني إِلَّا حسناً. وَأخرج ابن أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ:لَمْ يَكُنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْحَرِفِينَ وَلَا مُتَمَاوِتِينَ، وَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَيَذْكُرُونَ أَمْرَ جَاهِلِيَّتِهِمْ، فَإِذَا أُرِيدَ أَحَدُهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ، دَارَتْ حَمَالِيقُ عَيْنَيْهِ ـ أي :باطن أجفانها والمراد: نظر نظراً شديداً .. وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ :كُنْتُ أُجَالِسُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي فِي الْمَسْجِدِ، فَيَتَنَاشَدُونَ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأدب، بَاب ما يَجُوزُ من الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحُدَاءِ وما يُكْرَهُ منه ح ٥٧٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٤.

الْأَشْعَار، ويذكرون حَدِيث الْجَاهِلِيَّة، وَأخرج أَحْمد وابن أَبِي شَيْبَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَذَاكَرُونَ الشِّعْرَ وَحَدِيثَ الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَنْهَاهُمْ وَرُبمَا يتبسّم)[1].

وقد صنّف جماعة من العلماء أجزاء في ما ورد من الشعر ممّا قيل في حضرة النبي ﷺ أو ما ذكره أو أيّده ، وذكر جملة من أشعار الصحابة الكرام ﷺ، ومِنْ هؤلاء: الإمام عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي . رحمه الله . ت(٦٠٠هـ) في كتابه جزء أحاديث الشعر، وهو جزء مُسند، والحافظ محمد بن محمد ابن سيد الناس، اليعمري . رحمه الله . (ت٧٣٤هـ) في كتابه القيّم منح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أو رثاه – وقد ذكر الحافظ ابن سيد الناس في كتابه هذا مائة وبضع وسبعين من الصحابة ﷺ مدحوا أو رثوا رسول الله ﷺ بأبيات غاية في الروعة والإتقان ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر . رحمه الله . فقال : (وَقَدْ جَمَعَ ابن سَيِّدِ النَّاسِ شَيْخُ شُيُوخِنَا مُجَلَّدًا فِي أَسْمَاءِ مَنْ نُقِلَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ شَيْءٌ مِنْ شِعْرٍ مُتَعَلِّقٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً)[2]، وصنّف الإمام السيوطي . رحمه الله . رسالة ماتعة بعنوان : الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث و الآثار.

وقد رتبتُ هذه المواقف وما يستفاد منها باختصار في مباحث، كل مبحث متعلّق بموضوع مستقل .

المبحث الأول

فضل القرض

١ـ (فضل القرض)

قال الله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [3].

قال الإمام القرطبي . رحمه الله . : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْقَاضِي أَبُو عَامِرٍ يَحْيَى بْنُ عَامِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَنِيعٍ الْأَشْعَرِيُّ نَسَبًا وَمَذْهَبًا بِقُرْطُبَةَ– أَعَادَهَا اللَّهُ– فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي إِجَازَةً قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ خَلَفِ بْنِ مَدْيَنَ الْأَزْدِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدُونَ سَمَاعاً عَلَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ محمد بن عبد الله ابن زَكَرِيَّا بْنِ حَيْوَةَ

---

(1) فتح الباري ١٠/ ٥٤٠ ـ ٥٤١.

(2) المصدر السابق١٠/ ٥٣٩.

(3) سورة البقرة: ٢٤٥.

النَّيْسَابُورِيُّ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عَمِّي أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى ابن زَكَرِيَّا قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ عَنْ حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ ﷺ [1]: يَا رَسُولَ اللَّهِ أو إن اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ:(نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ) قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ ، قَالَ: فَنَاوَلَهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَقْرَضْتُ اللَّهَ حَائِطاً فِيهِ ستمائة نخلة. ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهُ، فَنَادَاهَا: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ: لَبَّيْكَ، قَالَ: اخْرُجِي، قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَائِطاً فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: لَمَّا نَزَلَ:(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ يَسْتَقْرِضُنَا وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْقَرْضِ؟ قَالَ:(نَعَمْ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ بِهِ). قَالَ: فَإِنِّي إِنْ أَقْرَضْتُ رَبِّي قَرْضاً يَضْمَنُ لِي بِهِ وَلِصِبْيَتِي الدَّحْدَاحَةِ مَعِي الْجَنَّةَ؟ قَالَ:(نعم) قال: فناولني يدك، فناوله رسوله اللَّهِ ﷺ يَدَهُ. فَقَالَ: إِنَّ لِي حَدِيقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِالسَّافِلَةِ وَالْأُخْرَى بِالْعَالِيَةِ، وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا، قَدْ جَعَلْتُهُمَا قَرْضاً لِلَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اجْعَلْ إِحْدَاهُمَا لِلَّهِ وَالْأُخْرَى دَعْهَا مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ) قَالَ: فَأُشْهِدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ حَائِطٌ فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ. قَالَ:(إِذًا يُجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ). فَانْطَلَقَ أَبُو الدَّحْدَاحِ حَتَّى جَاءَ أُمَّ الدَّحْدَاحِ وَهِيَ مَعَ صِبْيَانِهَا فِي الْحَدِيقَةِ تَدُورُ تَحْتَ النَّخْلِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

هَدَاكِ رَبِّي سُبُلَ الرَّشَادِ ... إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالسَّدَادِ

بِينِي مِنَ الْحَائِطِ بِالْوِدَادِ ... فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَادِّ

أَقْرَضْتُهُ اللَّهَ عَلَى اعْتِمَادِي ... بِالطَّوْعِ لَا مَنٍّ وَلَا ارْتِدَادِ

إِلَّا رَجَاءَ الضِّعْفِ فِي الْمَعَادِ ... فَارْتَحِلِي بِالنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ

وَالْبِرُّ لَا شَكَّ فَخَيْرُ زَادِ ... قَدَّمَهُ الْمَرْءُ إِلَى الْمَعَادِ

قَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ: رَبِحَ بَيْعُكَ! بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا اشْتَرَيْتَ، ثُمَّ أَجَابَتْهُ أُمُّ الدَّحْدَاحِ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ وَفَرَحْ ... مِثْلُكَ أَدَّى مَا لَدَيْهِ وَنَصَحْ

قَدْ مَتَّعَ اللَّهُ عِيَالِي وَمَنَحْ ... بِالْعَجْوَةِ السَّوْدَاءِ وَالزَّهْوِ الْبَلَحْ

وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَلَهُ مَا قَدْ كَدَحْ ... طُولَ الليالي وعليه ما اجترح

([1]) أبو الدحداح : هو ثابت بن الدحداح ﷺ، ويقال الدحداحة ، ويكنى أبا الدحداح ، وهو من الأنصار ، وقد اختلف الرواة في موته ، فقال بعضهم : قتل يوم أحد في المعركة . وقال آخرون : بل جُرح وبرأ، ثم مات على فراشه مرجع رسول الله ﷺ من الحديبية ، وهذا أصح لهذا الحديث .انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي١/٤٦٢.

ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ عَلَى صِبْيَانِهَا تُخْرِجُ مَا فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَتُنَفِّضُ مَا فِي أَكْمَامِهِمْ، حَتَّى أَفْضَتْ إِلَى الْحَائِطِ الْآخَرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ وَدَارٍ فَيَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ)[1].العِذْق (بفتح فسكون): النخلة. وبكسر فسكون: العرجون بما فيه من الشماريخ. ورداح ثقيلة. الفيّاح (بالتشديد والتخفيف): الواسع.

١)) انقسم الناس لمّا نزلت آية الحثّ على القرض الحسن إلى ثلاثة أقسام ، قَالَ الإمام ابْنُ الْعَرَبِيِّ . رحمه الله .: انْقَسَمَ الْخَلْقُ بِحُكْمِ الْخَالِقِ وَحِكْمَتِهِ وإرادته وَمَشِيئَتِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، حِينَ سَمِعُوا هَذِهِ الْآيَةَ أَقْسَاماً، فَتَفَرَّقُوا فِرَقاً ثَلَاثَةً: الْفِرْقَةُ الْأُولَى الرَّذْلَى قَالُوا: إِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ إِلَيْنَا وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، وهَذِهِ جَهَالَةٌ لَا تَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ، وقد رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾[2]، والعجب من معاندتهم مع خُذلانهم، وفي التوراة نظير هذه الألفاظ. الْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ لَمَّا سَمِعَتْ هَذَا الْقَوْلَ آثَرَتِ الشُّحَّ وَالْبُخْلَ وَقَدَّمَتِ الرَّغْبَةَ فِي الْمَالِ، فَمَا أَنْفَقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا فَكَّتْ أَسِيراً، وَلَا أَغاثَتْ أَحَداً، تَكَاسُلاً عَنِ الطَّاعَةِ وَرُكُوناً إِلَى هَذِهِ الدَّارِ. الْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ لَمَّا سَمِعَتْ بَادَرَتْ إِلَى امْتِثَالِهِ، وَآثَرَ الْمُجِيبُ مِنْهُمْ بِسُرْعَةٍ بِمَالِهِ، أولهم أبو الدَّحْدَاحِ ﷺ لما سمع هذا جاء إلى النبي ﷺ قال: يا نبي الله، أَلا أرى ربنا يستقرض ممّا أعطانا لأنفسنا ! ولي أرضان أرض بالعالية وأرض بالسافلة، وقد جعلتُ خيرهما صدقة، فقال النبي ﷺ : (كَمْ عِذْقٍ مُذلل لأبي الدحداح في الجنة)، فانظروا إلى حُسن فهمه في قوله: يستقرض مّما أعطانا لأنفسنا، وجوده بخير ماله وأفضله، فطوبى له ثم طوبى له، ثم طوبى له ثم طوبى له [3].

٢)) القرض الحسن أفضل من الصدقة ؛ لأن المقترِض لا يقترض إلا من حاجة وقد تكون شديدة جداً ، بخلاف الصدقة ، ولهذا ورد عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ : (رأيتُ لَيْلَةَ أسرى بِي على بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوباً الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، فقلت يا جِبْرِيلُ : ما بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ من الصَّدَقَةِ، قال: لِأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ وَالْمُسْتَقْرِضُ لَا يَسْتَقْرِضُ إلا من حَاجَةٍ)[4].

---

(1) الجامع في احكام القرآن ٢٣٩/٣. والقصة أخرجها ابن أبي حاتم مختصراً في تفسير القرآن العظيم ٣٣٣٨/١٠، والطبري في جامع البيان في تأويل القرآن٢٨٣/٥،، وأخرج القصة دون الأبيات البزّار في مسنده ٤٠٢/٥، وأبو يعلى في مسنده ٤٠٤/٨، والطبراني في معجمه الكبير٣٠١/٢٢، وقال الهيثمي : رواه البزار ورجاله ثقات. مجمع الزوائد٣٢١/٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

(3) أحكام القران لابن العربي١/ ٣٠٨.

(4) أخرجه ابن ماجه واللفظ له ك:الصدقات، بَاب الْقَرْضِ ح٢٤٣١، وضعّف إسناده البوصيري والعراقي براويه خالد بن

٣)) رغّب الإسلام في الصدقات لكن من غير إخلال بحقوق أخرى، فالتصدق على الأهل والأولاد مُقدّم على غيرهم، بل أفضل فهو صدقة وصلة، فلذا نهى الإسلام عن التصدّق بالمال كله وحرمان الورثة، فعن سَعْدِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال : (عَادَنِي النبي ﷺ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ من مَرَضٍ أَشْفَيْتُ منه على الْمَوْتِ، فقلتُ يا رَسُولَ اللَّهِ: بَلَغَ بِي من الْوَجَعِ ما تَرَى، وأنا ذُو مَالٍ ولا يَرِثُنِي إلا ابْنَةٌ لي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قال: لَا، قال: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قال: لا، قال:(الثُّلُثُ يا سَعْدُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ورثتك أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ من أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ الناس)[1].

٤)) تشجيع الزوجة لزوجها في عمل الخير، فهذه المرأة هي المرأة الصالحة التي عناها الرسول ﷺ في قوله : (الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)[2]، وكم رجل أهلكته امرأة !!

٥)) كان المسلمون الأوائل يتفاعلون إيجابياً مع كتاب الله تعالى، فيقرؤون القرآن ويقفون عند وعده ووعيده، ويمتثلون أوامره، وينتهون عند زواجره؛ فلهذا توالت عليهم البركات الإلهية، والنفحات الربانيّة، فأنْعِم بمَنْ قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3].

٦)) القَرْض: ما سلف من صالحٍ أو من سيّءٍ ، قال الشاعر:

لا تَخْلِطَنَّ خَبيثاتٍ بِطَيِّبَةٍ * واخْلَعْ ثيابك مِنْها وانجُ عُرْيانا

يزيد أبو هاشم الهمداني، وهو ضعيف عند جماعة، ووثقه آخرون منهم : أحمد بن صالح المعري وأبو زرعة الدمشقي، وقال ابن حبان: هو من فقهاء الشام: كان صدُوقاً في الرواية، ولكنه كان يخطئ كثيراً. انظر :مصباح الزجاجة للبوصيري٣/٧٠، والحديث أخرجه البيهقي في شعب الايمان٤/٢٨٥، والطبراني في معجمه الأوسط٧/١٦، من غير طريق خالد المذكور، وقال الهيثمي : وَفِيهِ عُتْبَةُ بْنُ حُمَيْدٍ؛ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ، وَفِيهِ ضَعْفٌ. مجمع الزوائد٤/١٢٦. والحديث حسن بطرقه كما أشار لحسنه السيوطي ووافقه الغماري وبيّن طرقه. انظر: المداوي عن علل المناوي ٤/١٠١ . ١٠٣، وليس في الحديث مخالفة لأُميّة النبي ﷺ لقراءته ما كان مكتوباً في باب الجنة؛ لأن المعراج فيه خوارق وهذا منها ، ويحتمل أنه قُرِء له ﷺ فأخبر بذلك من باب المجاز، فإن أُميّته ﷺ ثابتة بنص الكتاب وهو قطعي في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ سورة العنكبوت: ٤٨ ، فأُميّته ﷺ دليل على أن القرآن من عند الله تعالى، فأميته فخر، وأُميّة غيره نقص.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: فضائل الصحابة، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ اللهم أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَمَرْثِيَتِهِ لِمَنْ مَاتَ مَاتَ بِمَكَّةَ ح ٣٧٢١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الرضاع ، بَاب: خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ح ١٤٦٧.

(٣) سورة المائدة: ٨٣.

كُلُّ امرِىءٍ سوفَ يُجْزى قرضَهُ حَسَناً* أوْ سَيِّئاً أَوْ مَدِيناً مثلَ ما دانا[1].

والقرض: هو القطع، أُطْلِقَ على السلف؛ لأن المُقْرِضَ يقطع قطعة من ماله ويدفعها للمستلف، ثم يرجع له بدله، والمراد بها في الآية: الصدقة؛ لأن المتصدق يدفع الصدقة فيردّها الحق تعالى له بضعف أمثالها، فأشبهت القرض في مُطلق الرد [2].

نِسبةُ القرض إليه تعالى ترغيب وتقريب للإفهام، فلهذا كنّى الله سبحانه عن الفقير بنفسه العليّة المنزهة عن الحاجات؛ ترغيباً في الصدقة ،كما كنّى عن المريض والجائع والعاطش بنفسه المقدّسة عن النقائص والآلام [3]كما جاء في الحديث القدسي: (إِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول يوم الْقِيَامَةِ: يا بن آدَمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي، قال: يا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يا بن آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطْعِمْنِي، قال: يا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فلم تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلك عِنْدِي، يا بن آدَمَ: اسْتَسْقَيْتُكَ فلم تَسْقِنِي، قال: يا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قال: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فلم تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذلك عِنْدِي)[4].

المبحث الثاني

قراءة القران الكريم للجنب

روى الإمام الدارقطني . رحمه الله . بسنده عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وَهْرام عن عكرمة . رحمه الله . قال : (كان ابن رواحة ﷺ مُضطجعاً إلى جنب امرأته، فقام إلى جارية له في ناحية الحجرة فوقع عليها، وفزعت امرأته فلم تجده في مضجعه، فقامت وخرجت، فرأته على جاريته، فرجعت إلى البيت فأخذت الشفرة، ثم خرجت وفرِغَ فقام، فلقيها تحمل الشفرة، فقال: مهْيم فقالت: مهْيم لو أدركتُك حيث رأيتك لوجأتُ بين كتفيك بهذه الشفرة، قال: وأين رأيتني، قالت: رأيتُك على الجارية فقال: ما رأيتني، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب، قالت: فاقرأ ، فقال:

وَفِينَا رسول اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ** كما لَاح مشهورٌ من الْفَجْرِ سَاطِعُ

---

(1) انظر: معانى القرآن للأخفش١٩٤/١.

(2) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة٢٧١/١.

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٣٠٧.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه ك: البر والصلة والآداب، بَاب فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ ح ٢٥٦٩.

أتى بالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ** بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ ما قال وَاقِعُ

يَبِيتُ يجافى جَنْبَهُ عن فِرَاشِهِ ** إذا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ [1].

فقالت: آمنتُ بالله، وكذّبت البصر، ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره **فضحك حتى رأيتُ نواجذه** ﷺ)[2].

وروى القصة ابن عساكر. رحمه الله . بسنده: أن عبدالله بن رواحة ابتاع . اشترى . جارية وكتم ذلك امراته وقد بلغها، فقالت له ذات يوم وبلغها أنه كان عندها: إنه بلغني عنك أنك ابتعت جارية، فقال لها: ما فعلتُ، فقالت: بلى، وقد بلغني أنك كنتَ عندها اليوم، ولا أحسبك إلا جُنباً، فإن كُنتَ صادقاً فأقرأ آيات من القرآن، فقال :

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَا

وَتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ شِدادٌ... مَلائِكَةُ الإِلَهِ مُقَرَّبِينَا [3]

فقالتَ له: أمّا إذْ قرأتَ القران؛ فإنّي قد عرفتُ أنه مكذوب عليك. قال: فافتقدتْهُ ذات ليلة، فلم تجده على فراشها، فحبست نفْسها، فلم تزل تطلبه حتى قدَرت عليه في ناحية الدار، فقالت: الآن صدقتُ فيما بلغني فجحدها، فقالت: اقرأ الآيات من القرآن إن كنتَ صادقاً، فإنّك إن كنت جنباً لم تقرأ، فقال:

وَفِينَا رسول اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ** إذا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ من الْفَجْرِ سَاطِعُ

يَبِيتُ يجافى جَنْبَهُ عن فِرَاشِهِ ** إذا اسْتَثْقَلَتْ بِالْكافرين الْمَضَاجِعُ

أتى بالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ** له مُوقِنَاتٌ أَنَّ ما قال وَاقِعُ

---

(١) وأخرج الأبيات فقط دون القصة فقط البخاري في صحيحه ك: الأدب، باب هجاء المشركين ح٥٧٩٩، لكن فيه : إذا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ من الْفَجْرِ سَاطِعُ، بدل : كما لاح مشهور من الْفَجْرِ سَاطِعُ.

(٢) سنن الدار قطني ١/١٢٠، وقال قبله : زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس عن عبد الله ابن رواحة ﷺ أن رسول الله ﷺ : (نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب) إسناده صالح. قال الحافظ مغلطاي بن قليج البكجري الحنفي (المتوفى: ٧٦٢هـ): (هذا متصل، لولا ضعف زمعة لكان إسناده لا بأس به، على أنّ ابن معين قال: فيه صويلح، وقال البيهقي: وروى عن ابن عباس عن زمعة كذلك موصولاً، وليس بالقوي. قال: وعن عكرمة عن ابن رواحة وليس بالقوى، وقال عبد الحق: ولا يروى من وجه صحيح يحتج به؛ لأنه منقطع وضعيف، ... قال أبو عمر . ابن عبد البر .: روينا هذه القصة من وجوه صحاح، زاد غيره وتحمله ملائكة غلاظ ملائكة الإله مسبوقينا) شرح سنن ابن ماجه ١/ ٧٥٨.

(٣) وأخرجها بهذه الأبيات ابن عبد البر وقال : (قصته مع زوجته في حين وقع على أمته مشهورة، رويناها من وجوه صحاح) . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ٩٠١، وقال الحافظ الذهبي : روى من وجوه مرسلة منها يحيى بن أيوب المصري حدثنا عمارة ابن غزية عن قدامة بن محمد بن إبراهيم الحاطبي فذكره.. فهو منقطع. العلو ١ / ٤٢.

واعلمُ علماً ليس بالظنِ أنني ** إلى الله محشورٌ هناك وراجِعُ.

فحدّث رسول الله ﷺ بذلك، فاستضحك حتى ردَّ يده على فيه، وقال: (**هذا لَعمري من مَعاريض الكلام، يغفر الله لك يا ابن رواحة إن خياركم خيركم لنسائكم، فأخبرني ما الذي ردّتَ عليك حيث قلتَ ما قلتَ،** قال: قالت لي: الله بيني وبينك، أمَا إذا قرأت القرآن فإني اتهم ظنّي وأصدقك، فقال رسول الله ﷺ : **(لقد وجدتها ذات فقه في الدين)** [1] .

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) في هذا الحديث حُجَّةٌ على شهرةِ أَمْر الجُنُب عندهم بأنه لا يقرأُ القرآنَ، حتى كان يعرِفُه مَنْ قرأ القرآنَ، ومَنْ لم يقرأ [2].

٢)) يحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة القرآن عند عامة العلماء من المذاهب الأربعة؛ لما رُوي أن النبي ﷺ :(لا يَحْجُزُهُ عن الْقُرْآنِ شَيْءٌ إلا الْجَنَابَةُ)[3]، وعن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال :(لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ ولا الْجُنُبُ شيئًا من الْقُرْآنِ)[4]، وروي عن ابن عباس ﷺ وسعيد بن المسيب . رحمه الله . أنه يجوز للجنب قراءة كل القرآن . قال القاضي أبو الطيب وابن الصباغ وغيرهما . رحمهما الله ـ: اختاره ابن المنذر، ويجوز عند الجميع تلاوة ما لم يقصد به القرآن كالأدعية والذكر

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٨/ ١١٦، وأخرجها أيضاً الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام له ١/ ٣٣٤، وابن ابي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف ٢١٣، وفي مداراة الناس ١٣٦.

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري للكشميري ٢/ ٥٧٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه بَاب في الْجُنُبِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ح ٢٢٩ ، وابن ماجه في سننه ك:الطهارة ،باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة ح ٥٩٤، و أبو يعلى واللفظ له في مسنده ١/ ٢٤٧، والبيهقي في شعب الإيمان٢/ ٣٧٩، قال الحافظ مغلطاي البكجري : هذا حديث اختلف في تصحيحه وتضعيفه : فأما أبو داود فإنه سكت عنه، قال أبو عبد الله بن البيع: هذا الحديث صحيح الإسناد والشيخان لم يحتجا بعبد الله بن سلمة، ومدار الحديث عليه، وهو غير مطعون فيه، وقال البغوي في شرح السنة: هذا حديث صحيح، وفي الكامل قال سفيان: قال شعبة: لم يرو عمرو أحسن من هذا الحديث. وقال سعيد: لا أدرى أحسن منه عن عمرو، وكان شعبة يقول: هذا ثلث رأس مالي، وقد روى ابن سلمة عن علي وحذيفة وغيرهما هذا الحديث، وأرجو أنه لا بأس به، وفي سؤالات الميمون لأحمد، قال شعبة: ليس أحدث بحديث أجود من ذلك. شرح سنن ابن ماجه١/٧٥٢، ونصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي١/ ١٩٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ك: الطهارة، بَاب ما جاء في الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ أَنَّهُمَا لَا يقرآن الْقُرْآنَ ح ١٣١، وابن ماجه في سننه ك: الطهارة ، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة ح ٥٩٥، قال علي القاري: وضعفه البخاري والترمذي والبيهقي وغيرهم نقله السيد عن التخريج ، لكن له متابعات كما ذكره ابن جماعة وغيره تجبر ضعفه ، ومن ثَمَّ حسنه المنذري. مرقاة المفاتيح٢/ ١٤٨، وانظر: نصب الراية١/ ١٩٥.

.

وقد أجاز الحنفية للمعلّمة الحائض تعليم القرآن كلمةً كلمةً ، وذلك بأن تقطع بين كل كلمتين ؛ لأنها لا تعد بالكلمة قارئة . كما أجازوا للحائض أن تتهجى بالقرآن حرْفاً حرْفاً، أو كلمة كلمة مع القطع ، من غير كراهة. ومذهب الحنابلة أنه يحرم عليها قراءة آية فصاعداً، ولا يحرم عليها قراءة بعض آية ، لأنه لا إعجاز فيه. وذهب المالكية إلى أن الحائض يجوز لها قراءة القرآن في حال استرسال الدم مطلقاً ، كانت جنباً أم لا ، خافت النسيان أم لا . وأما إذا انقطع حيضها ، فلا تجوز لها القراءة حتى تغتسل جنبا كانت أم لا ، إلّا أن تخاف النسيان ، هذا هو المعتمد عندهم ؛ لأنها قادرة على التطهر في هذه الحالة ، وهناك قول ضعيف هو: أن المرأة إذا انقطع حيضها جاز لها القراءة إن لم تكن جنباً قبل الحيض، فإنْ كانت جنباً قبله فلا تجوز لها القراءة [1] .

٣)) المعارِيض جمع معْرَاض من التّعرِيض، وهو خلاف التّصريح من القول ، وهو التوْرية بالشيء عن الشيء ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : **(ليس الْكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بين الناس وَيَقُولُ خَيْرًا وينمى خَيْرًا)**، قال ابن شِهَاب . رحمه الله .: ولم أَسْمَعْ يُرَخَّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يقول الناس كَذِبٌ إلا في ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بين الناس، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا)[2] ، وقد اختلف العلماء في المراد بالكذب المباح فيها ما هو؟ فقالت طائفة: هو على اطلاقه، وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وقالوا: الكذب المذموم ما فيه مضرة، ومنه قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم :﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [3]،﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [4]، وقال آخرون منهم الطبري: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، قالوا: وما جاء من الاباحة في هذا المراد به: التورية واستعمال المعاريض لا صريح الكذب ، وحملوا ما ورد عن إبراهيم على المعاريض [5].

---

(١) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ١/٣٧ . ٣٨، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/١٢٥،و المجموع للنووي ٢/ ٣٥٨ وتحفة المحتاج بشرح المنهاج مع حاشية الشرواني١/ ٢٧١ ،والمغني لابن قدامة ١/٩٦ ـ ٩٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ١/ ١٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: البر والآداب والصلة، بَاب تَحْرِيمِ الْكَذِبِ وَبَيَانِ الْمُبَاحِ منه ح٢٦٠٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٣.

(٤)سورة الصافات: ٨٩.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥٨/١٦.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : واعلم أن التورية والتعريض معناهما أن تطلق لفظاً هو ظاهر في معنى، وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ، لكنه خلاف ظاهره، وهذا ضرب من التغرير والخداع . قال العلماء: فإن دعت إلى ذلك مصلحة شرعية راجحة على خداع المخاطب أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب فلا بأس بالتعريض، وإن لم يكن شيء من ذلك فهو مكروه وليس بحرام إلّا أن يتوصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق، فيصير حينئذ حراماً، هذا ضابط الباب، فأما الآثار الواردة فيه فقد جاء من الآثار ما يبيحه وما لا يبيحه، وهي محمولة على هذا التفصيل الذي ذكرناه. فممّا جاء في المنع ما رويناه في سنن أبي داود بإسناد فيه ضعف لكن لم يضعفه أبو داود فيقتضي أن يكون حسناً عنده كما سبق بيانه . عن سفيان بن أَسيد بفتح الهمزة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هو لك بِهِ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ له بِهِ كَاذِبٌ)[1]، وروينا عن ابن سيرين ـ رحمه الله ـ أنه قال: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف. مثال التعريض المباح: ما قاله النخعي ـ رحمه الله ـ إذا بلغ الرجل عنك شيء قلتَه فقل: الله يعلم ما قلتُ من ذلك من شيء، فيتوّهم السامع النفي، ومقصودك : الله يعلم الذي قلته ـ أي: تفهم السامع النفي ومقصودك (بما) أنها بمعنى الذي ـ، وقال النخعي أيضاً: لا تقل لابنك أشتري لك سُكّراً، بل قل: أرأيت لو اشتريتُ لك سُكّراً، وكان النخعي إذا طلبه رجل، قال للجارية: قولي له: اطلبه في المسجد، وقال غيره: خرج أبي في وقتٍ قبل هذا، وكان الشعبي يخط دائرة، ويقول للجارية: ضعي أصبعك فيها، وقولي: ليس هو هاهنا، ومثل هذا قول الناس في العادة لمن دعاه لطعام: أنا على نية موهما أنه صائم، ومقصوده على نية ترك الأكل ، ومثله أبصرتُ فلاناً، فيقول: ما رأيته أي: ما ضربتُ رئته، ونظائر هذا كثيرة، ولو حلف على شيء من هذا وورى في يمينه لم يحنث، سواء حلف بالله تعالى أو حلف بالطلاق أو بغيره فلا يقع عليه الطلاق ولا غيره، وهذا إذا لم يحلفه القاضي في دعوى فإن حلّفه القاضي في دعوى فالاعتبار بنية القاضي إذا حلفه بالله تعالى، فإن حلفه بالطلاق فالاعتبار بنية الحالف؛ لأنه لا يجوز للقاضي تحليفه بالطلاق فهو كغيره من الناس والله أعلم . قال الغزالي: ومن الكذب المحرم الذي يوجب الفسق ما جرَت به العادة في المبالغة كقوله: قلتُ لك مائة مرة، وطلبتك مائة مرة، ونحوه فإنه لا يراد به تفهيم المرات، بل تفهيم المبالغة، فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً وإن طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لم

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له في سننه ك: الأدب ، بَاب في الْمَعَارِيضِ ح ٤٩٧١، وأحمد في مسنده ٤/ ١٨٣، والحديث جود إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٨٠٥، وقال الهيثمي : رواه أحمد عن شيخه عمر بن هارون، وقد وثقه قتيبة وغيره، وضعّفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١/١٤٢.

يأثم وإن لم يبلغ مائة مرة وبينهما درجات يتعرض المبالغ للكذب فيها ، ودليل جواز المبالغة وأنه لا يعد كاذبا ما ثبت عن النبي ﷺ قال: (أَمَّا أبو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عَصَاهُ عن عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ له، أنكحي أُسَامَةَ بن زَيْدٍ فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قال: انْكِحِي أُسَامَةَ، فَنَكَحْتُهُ فَجَعَلَ الله فيه خَيْرًا وَاغْتَبَطْتُ)(١)، ومعلوم أنه كان له ثوب يلبسه، وأنه كان يضع العصا في وقت النوم وغيره [٢].

قال الشافعي . رحمه الله . في الرسالة : ومن الكذب: الكذب الخفي وهو أن يروي الإنسان خبراً عمّن لا يعرف صدقه من كذبه . قال الصيرفي شارحها؛ لأن النفس تسكن إلى خبر الثقة فيصدق في حديثه ويكون ذلك الخبر كذبا فيكون شريكاً له في الكذب، قال: ونظيره الرياء الشرك الخفي [٣].

٤)) وفي البيت الأول الإشارة إلى علمه ﷺ ، وفي الثالث إلى عمله، وفي الثاني إلى تكميله الغير، فهو ﷺ، كامل مكمّل [٤].

المبحث الثالث

عقوق الأبناء

قال الحافظ الإمام الطبراني . رحمه الله .: حدثنا محمد بن خالد بن يزيد البردعي بمصر ثنا أبو سلمة عبيد بن خلصة بمعرة النعمان نا عبد الله بن نافع المدني عن المنكدر بن محمد عن أبيه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اذْهَبْ فَأْتِنِي بِأَبِيكَ). فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ فَسَلْهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ، مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ). فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:(مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ؟). فَقَالَ: سَلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَنْفَقْتُهُ إِلَّا عَلَى إِحْدَى عَمَّاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إِيهْ دَعْنَا مِنْ هَذَا، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ)، فَقَالَ الشَّيْخُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَزَالُ اللَّهُ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا، لَقَدْ قُلْتُ شَيْئًا فِي نَفْسِي مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، فَقَالَ: (قُلْ، وَأَنَا أَسْمَعُ). قَالَ: قُلْتُ:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الطلاق، بَاب الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لها ح ١٤٨٠.

(٢) الأذكار ٣٠٤.

(٣) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ٢/ ٨٩٣.

(٤) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٢/ ٣٣٠.

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ يَافِعًا ... تُعِلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ.
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسَّقْمِ لَمْ أَبِتْ ... لِسَقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ.
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمِلُ.
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ.
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي ... إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ.
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ.
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ.
تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ ... بَرَدٌّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ.

قَالَ: حِينَئِذٍ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَلَابِيبِ ابْنِهِ ـ وعند البيهقي قال فبكى رسول الله ﷺ . فَقَالَ: (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ)[1].

وعن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ قال: جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقال : (إِنَّ أبي اجْتَاحَ مَالِي فقال: (أنت وَمَالُكَ لِأَبِيكَ)، وقال رسول اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ أَوْلَادَكُمْ من أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا من أَمْوَالِهِمْ)[2].

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) أهمية بِر الأبناء بالآباء، وتحريم عقوقهما، وحقيقة العقوق لا يوجد له ضابط شامل لكل الأزمان ، فهو مختلف باختلاف الأحوال: من زمن ومن عرف ومن عادات، وهي تختلف

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط٦/٣٤٠ واللفظ له ، وقال: لم يرو هذا الحديث بهذا اللفظ والشعر عن المنكدر بن محمد بن المنكدر إلا عبد الله بن نافع تفرد به عبيد بن خلصة. وأخرجه أيضاً في معجمه الصغير٢/١٥٢، والبيهقي في دلائل النبوة٦/٣٠٥ وعلّق صحة الخبر، وقال: باب ما جاء في إخباره من قال في نفسه شعراً في الشكاية عن ولده بذلك إن صحت الرواية. قال الهيثمي : قُلْتُ: رَوَى ابْنُ مَاجَهْ طَرَفًا مِنْهُ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ، وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُ. وَالْمُنْكَدِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ضَعِيفٌ، وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَدِيثُ بِهَذَا التَّمَامِ مُنْكَرٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ لَهُ طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ رِجَالُ إِسْنَادِهَا رِجَالُ الصَّحِيحِ. مجمع الزوائد٤/١٥٥، وقال الحافظ السخاوي : والمنكدر ضعفوه من قبل حفظه وهو في الأصل صدوق لكن في السند إليه من لا يعرف. المقاصد الحسنة١٧٥، وذكره الزيلعي في نصب الراية٣/٣٣٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ك: التجارات، بَاب :ما لِلرَّجُلِ من مَالِ وَلَدِهِ ح٢٢٩٢، قال البوصيري : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط البخاري. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه٣/٣٧. وقال الحافظ ابن حجر: قال الدارقطني: غريب تفرد به عيسى بن يونس بن أبي إسحاق ويوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق عن ابن المنكدر. وقال بن القطان: إسناده صحيح، وقال المنذري: رجاله ثقات، وله طريق أخرى عن جابر عند الطبراني في الصغير والبيهقي في الدلائل فيها قصة مطولة ، وفي الباب عن عائشة ﷺ في صحيح بن حبان وعن سمرة وعن عمر ﷺ كلاهما عند البزار وعن ابن مسعود ﷺ عند الطبراني وعن ابن عمر ﷺ عند أبي يعلى فمجموع طرقه لا تحطه عن القوة. فتح الباري٥/٢١١.

باختلافها، قال الإمام أبو محمد العز بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ: (ولم أقف في عقوق الوالدين ولا فيما يختصان به من الحقوق على ضابط اعتمد عليه، فإنّ ما يحرم في حق الاجانب فهو حرام في حقهما، وما يجب للأجانب فهو واجب لهما، ولا يجب على الولد طاعتهما في كل ما يأمران به ولا في كل ما ينهيان عنه باتفاق العلماء، وقد حرّم على الولد الجهاد بغير إذنهما لما يشق عليهما من توقّع قتله أو قطع عضو من اعضائه، ولشدة تفجعهما على ذلك، وقد أُلحق بذلك كل سفر يخافان فيه على نفسه أو على عضو من أعضائه) [1].

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح ـ رحمه الله ـ في فتاويه : (العقوق المحرّم كلُّ فعل يتأذّى به الوالد أو نحوه تأذياً ليس بالهيّن مع كونه ليس من الأفعال الواجبة، وربما قيل طاعة الوالدين واجبة في كل ما ليس بمعصية ومخالفة أمرهما في كل ذلك عقوق، وقد أوجب كثير من العلماء طاعتهما في الشبهات، وليس قول من قال من علمائنا: يجوز له السفر في طلب العلم وفي التجارة بغير إذنهما مخالف لما ذكرتُ، فإن هذا كلام مُطلق، وفيما ذكرته بيان لتقييد ذلك المطلق) [2].

٢)) الأب سبب وجودك، ووجودك سبب وجود مالك فصار له بذلك حق كان به أولى منك بنفسك، فإذا احتاج فله أن يأخذ منه قدر الحاجة، فليس المراد إباحة ماله له حتى يستأصله بلا حاجة [3].

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ : قَوْلُهُ :(**أنت وَمَالُك لِأَبِيك**)، قال ابن رَسْلانَ: اللَّامُ لِلْإِبَاحَةِ لا لِلتَّمْلِيكِ، فإنّ مَالَ الْوَلَدِ له وَزَكَاتَهُ عليه وهو مَوْرُوثٌ عنه [4].

والدليل على أن يأخذ الوالد من مال ولده قدر الحاجة ما ورد عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: حَضَرْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ، هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ مَالِي كُلَّهُ وَيَجْتَاحَهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ:(إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِيكَ)، فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ**) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : (ارْضَ بِمَا رَضِيَ اللهُ بِهِ)[5].

٣)) استنبط العلماء من هذا الحديث أحكاماً كثيرة فمنها :

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٢٠/١.

(٢) فتاوى ابن الصلاح٢٠١، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٨٧، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧/٩.

(٣) انظر: فيض القدير ٥٠/٣.

(٤) نيل الأوطار٦/ ١١٧.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧٩٠/٧، وقال: وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ زِيَادٍ ، وَقَالَ فِيهِ: إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ النَّفَقَةَ ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ زِيَادٍ ضَعِيف.

١ـ لا تقطع يد أحد الوالدين لسرقة مال ولدهما ولا يقتلان به، وللوالدين الرجوع فيما وهباه لولدهما لما طُبعا عليه من إيثارهما ولدهما على أنفسهما، لكن إنما يرجع لحاجة أو مصلحة، ويكره لهما الرجوع من غير عذر.

٢ـ لو وهب لولده شيئاً ووهبه الولد لولده، لم يرجع الأول في الأصح؛ لأن الملك غير مستفاد منه ، ولو وهبه لولده فوهبه الولد لأخيه من أبيه لم يثبت للأب الرجوع؛ لأن الواهب لا يملك الرجوع فالأب أولى ، ولو وهبه الولد لجده ثم الجد لولد ولده فالرجوع للجد فقط ، ولو زال ملك الولد عن الموهوب وعاد إليه بإرث أو غيره لم يرجع الأصل؛ لأن الملك غير مستفاد منه حتى يرجع فيه [١].

٣ـ لو سرَق الابن مال أحد الأصول أو سرَق أحد الأصول مال فرعه وإن سفل فلا يقطع؛ لما بينهما من الاتحاد وإن اختلف دينهما؛ ولأن مال كل منهما مرصد لحاجة الآخر كما في الحديث: (**أنت ومالك لأبيك)** بخلاف سائر الأقارب وسواء كان السارق من الأصل أو الفرع حُراً أم رقيقاً [٢]، ولو سرق الأخ مال أخيه مثلاً فادّعى أنه مال أبيه فلا يقطع ، وإن كذّبه الأب كأن قال له : ليس هذا مالي بل مال أخيك [٣].

للعلامة مصطفى الزرقا كلام مفيد في الموضوع في فتاويه ، وإليك أسئلة وأجوبتها:

(مثال ١: الجهاد، كيف بمَن يَودُّ القيام بهذه الفريضة بالرغم من مَنْع والدَيْه له؟ وكيف التوفيق بين حديث: (أحَيٌّ والداك؟ ففيهما فجاهِدْ.) وحديث :(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.)؟ مثال ٢: ما الحكم فيمن يُعطِي أبويه كِفايَتَهما من النقود ومتطلبات الحياة ثم يُطالبانِه بالزيادة دون حِوَج، وهو ذو عِيَال، وعليه مسئوليات، فهل يُعَدُّ رفْضه عُقوقًا.. وما المراد من حديث: (أنت ومالُك لأبِيكَ)؟

مثال ٣: إذا كانت الزوجة تُعامِل والدَيْ زوجها أحْسَن معاملة ويُريد الأبوان من الزوج أن يُطلِّقها، أو يُتيح لهما السيطرة عليها أو يَحرِمها من المنزل المنفصل عنهما، فهل يُطلِّق الزوج امرأته إرضاء لأبويه وامتثالاً لبعض الأحاديث التي تَدعو إلى ذلك؟

الجواب : قَرَّر الإسلام للوالدين حقوقًا مادية ومَعنوية أوْجَب على الولد رعايتها واحترامها وحُسْن أدائها، وفي رأس حقوقهما المادية عليه أن يُنفِق عليهما إذا احتاجا،

---

(١) انظر: حاشية البجيرمي على الخطيب المسمى الإقناع في حل ألفاظ أبى شجاع١٩٧/٩.

(٢) انظر: نهاية الزين في إرشاد المبتدئين لمحمد النووي الجاوي٣٥٣.

(٣) انظر: حاشية البجيرمي على الخطيب المسمى الإقناع في حل ألفاظ أبى شجاع ٢٧٧/١٢.

وفي رأس حقوقهما المَعنوية بِرُّه بهما في كل وجوه البِرِّ، واجتناب عُقوقهما في كلِّ وجوه العُقوق.

وأنَّ بر الوالدين يتجلَّى في فعل ما يُرضيهما ويَسُرُّهما، من طاعة لأوامرهما وتحقيق لرغائبهما في المعروف، وأن عقوقهما يَتجلَّى فيما يُؤذِيهما أو يُنغِّصهما من قول أو عمل، ويقول الفقهاء: إن الفعل السيِّئ يُعتبر عُقوقًا إذا كان من شأنه أن يُؤلم الوالدين (كسُوء الأدب معهما مثلاً) وإن لم يُؤلم الوالد الذي أساء ابنه الأدب معه لِفَرْط مَحبَّته له وتَولُّعه به، والإخلال ببر الوالدين درجات: من المخالفة اليسيرة إلى العقوق والإيذاء الذي هو أيضًا درجات متفاوتة. هذا، ولكن الشريعة الإسلامية من أبرز مزاياها أنَّ تعاليمها تَحفظ التوازن بين جميع الجهات الواجبة الاعتبار، فهي لا تَقبَل أن تَطغَى رعايةُ نوع من الحقوق والواجبات على رعاية نوع آخر منها، وميزان هذا قول الرسولﷺ في الحادثة المشهورة: **(إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ)**[1]، إلى نصوص أخرى كثيرة في الكتاب والسنة الثابتة، ففي ظِلِّ ذلك تُقيَّد طاعة الوالدين شرعًا بأن لا تكون في معصية الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[2]، وقول الرسول ﷺ: (لَا طَاعَةَ لمخلوق في معصيَّة الخالق)[3]، فهناك نصوص عامة يَنْبسِط سلطانها على جميع آفاق الحقوق والواجبات، فتَضع لها حدوداً ملحوظة تَحفَظ التوازن، والشرع حقوق وواجبات متقابلة، فكما أوْجَب على الولد برَّ والديه، أوجب عليهما تسهيلَ هذا البر عليه، وعدم إرهاقه فيه . بعد هذا الإيضاح للأصول أقول :

١ – في الخروج إلى الجهاد إذا أراد الولد الخروج، وكان هناك من سواه مَن يُغنِي عنه ويَسُدُّ مَسدَّه، ووالداه أو أحدهما في حاجة إليه، لا يَنبغي له أن يَخرُج ويَتركهما، فبقاؤه معهما من الجهاد؛ لأن الجهاد يَستدعى تَخْليف بعض المكلَّفين في البلد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأدب، بَاب صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ ح ٥٧٨٨.

(٢) سورة لقمان: ١٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٣١، والطبراني واللفظ له في معجمه الكبير ١٨/ ١٧٠، قال الهيثمي: رواه أحمد بألفاظ والطبراني باختصار، وفي بعض طرقه: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ورجال أحمد رجال الصحيح. مجمع الزوائد٥/ ٢٢٦ ، وهو عند البخاري في صحيحه بلفظ : (لَا طَاعَةَ في المعصية، إنما الطَّاعَةُ في الْمَعْرُوفِ) ك:التمني ، بَاب ما جاء في إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ ح ٦٨٣٠، وعنده أيضاً بلفظ : (السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ على الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مالم يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فإذا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طَاعَةَ) ك: الأحكام ، بَاب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ ما لم تَكُنْ مَعْصِيَةً ح ٦٧٢٥.

والأهل، وعلى هذا يُحمل قول الرسول ﷺ: (ففيهما فجاهِدْ)[1].

أما إذا أصبح الجهاد في بعض الأحوال واجباً عينيّاً عليه؛ لعدم وجود من يَسُدُّ مَسدَّه، فليس خروجه عندئذ عُقوقاً ولا مُنافياً للبِرِّ، وإن لم يأْذَنا له.

٢ . ومن يُعطِي أبويه كِفايتَهما من النفقة ومتطلَّبات الحياة، فقد أدَّى واجبه شرعًا، وإن تَطلَّبا شَطَطاً وإسرافاً فوق الحاجة المعروفة، فليس واجباً عليه، وإن أراد أن يَتطوع بالزيادة فذلك إليه ما لم يكن ذلك على حساب واجبات مالية أخرى عليه.

أما قول الرسول ﷺ: (أنت ومالُكَ لأبيكَ)، فليس معناه التمليك في نظر الفقهاء، بل هو للتنبيه إلى مبلغ حقوقهما، وأن ما جَناَه من مال إنما هو بفضل تربيتهما له، حتى أصْبَح كبيراً قادرًا مُكتسِباً، فعليه أن يُمتِّعهما بماله بِسَخاء.

٣ – إذا كانت الزوجة تُعامِل والِدَيْ زوجها معاملة حسنة، وهما يَكرَهانها ويَطلُبان إليه تطْليقها دون ذنْب منها أو إساءة، فليس عليه إطاعتهما؛ لأن هذا منهما شَطَط وإساءة وعُدْوان، فلا يجوز له إطاعتهما فيه، وما رُوي من بعض حوادث تاريخية في صدر الإسلام بخلاف ذلك له تأويل آخَر. هذا، وفي كل موطن ممّا لا يكلَّف الولد فيه بإطاعة والديه في معصية لا يجوز له إلا الرفْض برِفْق وحكمة دون إساءة لهما بالقول؛ لأن المقصود يَتحقَّق بعَدَم المُجارَاة لهما في معصية وعدوان، ولقول الله . سبحانه . في تَتِمَّة الآية السالفة الذِّكْر: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[2]، والله يقول الحق هو يَهدي السبيل)[3].

للإمام قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي كلام حسن جداً في بيان ضابط ما يُعدّ فيه العقوق ما لا يُعد فيه العقوق فقال: (الذي أراه في بِرِّ الوالدين وتحريم عقوقهما أنه تجب طاعتهما في كل ما ليس بمعصية، ويشتركان في هذا هما، والامام أعني: الخليفة وولي الأمر؛ لقوله: (اسمع وأطع ما لم تؤمر بمعصية)، ويزيد الوالدين على الامام بشيء آخر وهو أنهما قد يتأذيّان من فعل أو قول يصدر من الولد وإن لم ينهياه عنه، فيحرم عليه ذلك؛ لأنه يحرم عليه كل ما يؤذيهما بخلاف الإمام وكذلك إذا تأذيّا بترك قول أو ترك فعل منه وجب عليه فعل ارضاهما، وإن لم يأمراه به وإذا أمراه بترك سنة أو مباح أو بفعل مكروه، فالذي أراه تفصيل: وهو أنه إن امراه بترك سننه دائمًا فلا يسمع منهما؛ لان في ذلك تغيير الشرع، وتغيير الشرع حرام، وليس لهما فيه غرض صحيح، فهما المؤذيان لانفسهما بأمرهما بذلك، وأما إن أمراه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسير، بَاب الْجِهَادِ بِإِذْنِ الْأَبَوَيْنِ ح ٢٨٤٢.

(٢) سورة لقمان: ١٥.

(٣) فتاوى الزرقا ١/ ١٤١.

بترك سننه في بعض الاوقات، فإن كانت غير راتبة وجبت طاعتهما، وإن كانت راتبة فإن كان لمصلحة لهما وجبت طاعتهما وإن كانت شفقة عليه ولم يحصل لهما أذى بفعلها فالأمر منهما في ذلك محمول على الندب لا على الايجاب فلا تجب طاعتهما، فإن علم من حالهما أنه أمر ايجاب وجبت طاعتهما، و ما في البخاري من أن أمه ان نهته عن حضور العشاء في جماعة شفقة لم يطعمها إما أن يحمل على عدم الايجاب لقوله؛ شفقة وإما أن يحمل على أن المراد على الدوام؛ لما قلناه من تغيير الشرع وتغير الشرع حرام، وإن كان ماله أو مسكنه حلالاً صافياً عن الشبهة وأمراه أن يأكل أو يسكن معهما وفيما يأكلانه أو يسكنانه شبهة، وجبت طاعتهما كما قاله الطرطوشي؛ لان مخالفتهما حرام، والورع ليس بواجب وإن نهياه عن الصلاة في أول الوقت، فإن كان على الدوام لم يسمع منهما؛ لان فيه تغيير الشرع وإن كان في وقت وجبت طاعتهما كما قاله الطرطوشي وهو دون حضور الجماعة والسنن الراتبة؛ لأنه صفة لا مستقل وحاصله أنه يجب امتثال أمرهما و الانتهاء عن نهيهما ما لم تكن معصية على الإطلاق و إنما تكون معصية إذا كان فيه مخالفة لأمر الله الواجب أو لشرعه المقرر، وفى هذا هما و الإمام سواء، ويزيد فيهما تحريم ما يؤذيهما بأي شيء كان وإن كان مباحاً بوجوب طاعتهما وإن كان ما يأمران به لحظ أنفسهما بخلاف الإمام فإنه لا يأمر إلا بما فيه مصلة المسلمين، ولا تجب طاعته في حق نفسه، ولا يحرم أذاه بمباح، والوالدان يحرم أذاهما هيّنا كان الأذى أو ليس بهيّن خلافاً لمن شرط في تحريم الأذى ان يكون ليس بالهيّن فأقول: يحرم إيذائهما مطلقاً إلا أن يكون إيذائهما بما هو حق واجب لله، فحق الله أولى فعلى ما قلته لو أمراه بطلاق امرأته ونحوه وجب عليه طاعتهما، هذا الذى اعتقده وأرجو إنه حق إن شاء الله تعالى)[1].

ولخصّ العلامة مرتضى الدين الزبيدي . رحمه الله . مسئلة إذا طلب أحد الأبوين من الابن أن يُطلّق زوجته ، فهل يطيعهما ؟ فقال: وإن كرهها أبوه فليطلقها؛ رعاية لخاطر الاب، فإن حقّه مُقدّم على حق الزوجة، قال عبد الله بن عمر ﷺ كان تحتي امرأة أُحبها، وكان أبي يكرهها فيأمرني بطلاقها، فراجعت رسول الله ﷺ في شأنها، فقال: يا ابن عمر طلّق امرأتك، فطلقها، قال العراقي رواه اصحابي السنن الاربعة، قال الترمذي: حسن صحيح اهـ قلتُ . القائل الزبيدي . ورواه كذلك ابن حبان في الصحيح، وفي لفظ لهم، فقال: اطع أباك ؟ وهذا الطلاق هو المستحب ذكره ابن الرفعة، فهذا يدلُّ على أن حق الوالد مُقدّم على حق الزوجة ولكن والده

(1) نقل كلام السبكي العلامة الزبيدي عن خطه في كتابه اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين٦/٣٢١.

يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ﷺ فأين مثله؟ ومهما آذت زوجها قولاً أو فعلاً وبذت على أهله أي: أهل الزوج، فهي جانية فلا يكون الطلاق في حقها إيذاء، وكذلك مهما كانت سيئة الخلق سليطة اللسان فظة القول أو كانت فاسدة الدين رقيقته، فاسدة الاعتقاد، وفي القوت . أي كتاب القوات للمكي . فإن كانت بذيّة اللسان، عظيمة الجهل، كثيرة الاذى فطلاقها أسلم لدينهما وأروح لقلوبهما في عاجل الدنيا وآجل الآخرة، وقد شكا رجل إلى رسول الله ﷺ بذا امرأته، فقال: طلقها، قال: فأني أحبها، قال: فامسكها إذا خشي عليه تشتّت همّه بفراقها مع المحبة، فتشتّت القلب أعظم من أذى الجسم [1].

المبحث الرابع

إسلام صِرْمَة بْنُ أَبِي أَنَسٍ وأبياته في مدح الحبيب ﷺ

عن سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار قال : قلتُ لعروة بن الزبير: كم لبثَ النبي ﷺ بمكة، قال: عشر سنين، قلتُ: فإن ابن عباس ﷺ يقول: لبثَ بضع عشرة حجة، قال: إنما أخذه من قول الشاعر، قال سفيان بن عيينة: حدثنا يحيى بن سعيد قال: سمعتُ عجوزاً من الأنصار تقول: رأيتُ ابن عباس يختلف إلى صِرْمَة بن قيس يتعلّم منه هذه الأبيات:

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً *** يُذَكِّرُ لَوْ أَلْفَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ *** فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَتَانَا واستقرّتْ بِهِ النَّوَى *** وَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِطِيبَةَ رَاضِيَا
وَأَصْبَحَ مَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ *** بَعِيدٍ وَما يخشى من النّاس راعيا
بذلنا له الْأَمْوَالَ مِنْ جُلِّ[2] مَالِنَا *** وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتَّآسِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ*** بحقٍّ وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُوَاتِيَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ *** وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أصبح هاديا [3].

ويستفاد من هذه الأبيات فوائد كثيرة فمِن أهمها :

١)) في ترجمة صِرْمَةُ ﷺ

---

(1) انظر: اتحاف السادة المتقين ٥/ ٣٩٣.

(٢) وفي السيرة النبوية لابن هشام٣/ ٤٥ : من حلّ مالنا.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه١/ ٥٧٣ ، والأزرقي في أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار٢/ ١٤٧ ،والحاكم واللفظ له في مستدركه٢/ ٦٨٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٥١٣، وابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب١/ ٣٣.

هو: صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ بن مَالِك بن عَدِيّ بن عامر بن غَنْم بن عَديّ بن النجار الأنصاري الخزرجي يكنّى أبا قيس غلَبت عليه كنيته، وربما قال فيه بعضهم: صرمة بن مالك فنسبه إلى جده ، وهو مشهور في الصحابة.

وهو الذي نزلت في سببه وسبب عمر بن الخطاب ﷺ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [1].

أخرج البخاري بسنده عن الْبَرَاءِ ﷺ قال : (كان أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إذا كان الرَّجُلُ صَائِماً فَحَضَرَ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قبل أَنْ يُفْطِرَ لم يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ ولا يَوْمَهُ حتى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بن صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ ﷺ [2]كان صَائِماً، فلما حَضَرَ الْإِفْطَارُ أتى امْرَأَتَهُ فقال لها: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ، قالت: لَا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لك، وكان يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فلما رَأَتْهُ، قالت: خَيْبَةً لك، فلما انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عليه، فَذُكِرَ ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هذه الْآيَةُ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ ﴾ ، فَفَرِحُوا بها فَرَحاً شَدِيداً وَنَزَلَتْ: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾)[3].

قال ابن إسحاق: كان رجلاً قد ترهّب في الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: وَوَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ مِنْ طَرِيقِ زُهَيْرٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّهُ أَبُو قَيْسِ بْنُ عَمْرٍو، وَفِي حَدِيثِ السُّدِّيِّ الْمَذْكُورِ حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو قَيْسِ بْنُ صِرْمَةَ، وَلِابْنِ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ بن إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالْمُوَحَّدَةِ الثَّقِيلَةِ مُرْسَلاً صِرْمَةُ بْنُ أبي أنس، ولغير ابن جَرِيرٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ صِرْمَةُ بْنُ قَيْسٍ كَمَا قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، وَلِلذُّهْلِيِّ فِي الزُّهْرِيَّاتِ مِنْ مُرْسَلِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ صِرْمَةُ بْنُ أَنَسٍ، وَلِابْنِ جَرِيرٍ مِنْ مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى صِرْمَةُ بْنُ مَالِكٍ . وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النجار ، فَمَنْ قَالَ قَيْسُ بْنُ صِرْمَةَ قَلَبَهُ كَمَا جَزَمَ الدَّاوُدِيُّ وَالسُّهَيْلِيُّ وَغَيْرُهُمَا بِأَنَّهُ وَقَعَ مَقْلُوباً فِي رِوَايَةِ حَدِيثِ الْبَابِ، وَمَنْ قَالَ صِرْمَةُ بْنُ مَالِكٍ نَسَبَهُ إِلَى جَدِّهِ وَمَنْ قَالَ صِرْمَةُ بْنُ أَنَسٍ حَذَفَ أَدَاةَ الْكُنْيَةِ مِنْ أَبِيهِ وَمَنْ قَالَ أَبُو قَيْسِ بْنُ عَمْرٍو أَصَابَ كُنْيَتَهُ وَأَخْطَأَ فِي اسْمِ أَبِيهِ وَكَذَا مَنْ قَالَ أَبُو قَيْسِ بْنُ صِرْمَةَ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: أَبُو قيس صرمة فَزَادَ فِيهِ بن، ... وَقد استدرك ابن الْأَثِيرِ فِي الصَّحَابَةِ ضَمْرَةَ بْنَ أَنَسٍ فِي حرف الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ وَهُوَ تَصْحِيفٌ وَتَحْرِيفٌ، وَلَمْ يَتَنَبَّهْ لَهُ. وَالصَّوَابُ: صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ كَمَا تَقَدَّمَ. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤/ ١٣٠ . ١٣١.

(٣) في صحيحه ك: الصوم ،بَاب قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُمْ الآية) ح ١٨١٦.

الأوثان واغتسل من الجنابة، واجتنب الحائض من النساء، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها، ودخل بيتاً له، فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه طامث ولا جنب، وقال: أعبدُ رب إبراهيم ، وأنا على دين إبراهيم، فلم يزل بذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فأسلم وحسُن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوّالاً بالحق، يُعظم الله في الجاهلية، ويقول أشعاراً في ذلك حساناً فذكر أشعاراً منها قوله :

يقول أبو قيس وأصبَح ناصِحاً * ألا ما استطعتُم من وُصاتي فافعلوا**

أُوصيكم بالله والبرِّ والتُقى * وأعراضكم والبر بالله أول**

وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم * وإن كنتُم أهل الرياسة فاعدلوا**

وإن نزلتْ إحدى الدواهي بقومكم * فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا**

وإن ناب غرم فادحٌ فارفقوهم * وما حملُوكم في الملمّات فاحلموا**

وإن أنتُم أمعرتُم فتعفّفوا * وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا**

ومنها قوله أيضاً :

سبِّحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال**

عالم السِّر والبيان لدينا * ليس ما قال ربنا بضلال**

وله الطير تستدير وتأوي * في وكور من آمنات الجبال**

وله الوحش بالفلاة تراها * في حقاف وفي ظلال الرمال**

وله هوّدت يهود ودانت * كل دين إذا ذكرت عضال**

وله شمس النصارى وقاموا * كل عيد لديهم واحتفال**

وله الراهب الحبيس تراه * رهن بؤس وكان ناعم بال**

يا بني الأرحام لا تقطعوها * وصلوها قصيرة من طوال**

واتقوا الله في ضعاف اليتامى * ربما يستحل غير الحلال**

واعلموا أن لليتيم ولياً * عالماً يهتدي بغير السؤال**

ثم مال اليتيم لا تأكلوه * إن مال اليتيم يرعاه والي**

يا بني النجوم لا تخزلوها * إن خزل النجوم ذو عقال**

يا بني الأيام لا تأمنوها * واحذروا مكرها ومر الليالي**

واعلموا أن أمرها لنفاد الخلق * ما كان من جديد وبالي**

واجمعوا أمركم على البر والتقوى * وترك الخنا وأخذ الحلال**[1]

٢)) قال ابن عبد البر . رحمه الله . : قال الخوارزمي: قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً يوم الاثنين، وهو اليوم الثامن من ربيع الأول سنة اربع وخمسين من عام الفيل وهي سنة إحدى من الهجرة يوم عشرين من أيلول، فكان مبعثه إلى يوم هاجر، ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة، ومكث بالمدينة عشر سنين وشهرين إلى أن مات، وذلك يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول سنة اربع وستين من عام الفيل، ومن الهجرة سنة إحدى عشرة. قال ابن عبد البر: وهذا الذي قال هو معنى قول ابن عباس ﷺ إن رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشر سنة يعنى: بعد البعث وبالمدينة عشر سنين، ويشهد بصحة ذلك قول أبي قيس صرمة، ثم ذكر الحديث مع الأبيات[2].

٣)) مكث الرسول ﷺ بمكة ثلاثة عشر سنة على أصح الأقوال، قال الإمام الطبري . رحمه الله . : حدثني عبيد بن محمد الورّاق قال: حدثنا روح، قال: حدثنا هشام، قال: حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال: بُعث النبي ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، وقد وافق قول من قال بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صرمة - ثم روى الطحاوي الحديث المذكور. ، وقال: فأخبر أبو القيس في قصيدته هذه أن مقام رسول الله ﷺ في قومه قريش كان بعدما استنبئ وصدَع بالوحي من الله بضع عشرة حجة . وقال بعضهم: كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة. ثم وروى بسنده . عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ، واستشهد بهذا البيت من قول أبي قيس صرمة بن أبي أنس غير أنه أنشد ذلك :

ثوى في قريش خمس عشرة حجّة * يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا** [3].

وقال الحاكم بعد روايته الحديث: وهو أولى ما تقوم به الحجة على مقام سيدنا المصطفى ﷺ بمكة بضع عشرة سنة، وله شاهد صحيح على شرط مسلم.

٤)) في الأبيات يفخر صرمة ﷺ بما منَّ الله به عليه من صحبة النبي ﷺ ونصرته له في قوله :

بذلنا له الْأَمْوَالَ مِنْ جُلِّ مَالِنَا * وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتَّآسِيَا**

---

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب١/ ٧٣٨، والسيرة النبوية لابن هشام ٤٢/٣ . ٤٣ ، والإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان الكلاعي٣٥٧/١ ـ ٣٥٨.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب١/ ٣٢.

(٣) تاريخ الطبري١/ ٥٧٣.

ويستفاد جواز أن يذكر الانسان ما أنعم الله تعالى عليه من نعم؛ ليشكر ربه ، ويقتدي به غيره، إذا أمِنَ على نفسه من الرياء والفخر، قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [1].

٥)) ويستفاد ممّا ذكره صرمة ﷺ أن الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، ومن أجل الولاء لله يعادون من عاد الله وحاربه، ولو كانوا من أحب الناس إليهم ، وهذه هي المحبة الصادقة لله ورسوله ولدين الإسلام، وصدق الله في أمثال هؤلاء الرجال: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [2] ، قال صرمة ﷺ في هذا المعنى:

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ*** بحقٍّ وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُوَاتِيَا.

المبحث الخامس

مدح الصحابة الكرام للنبي ﷺ

عن خُرَيْمُ بن أَوْسِ بن حَارِثَةَ ﷺ كُنّا عِنْدَ النبي ﷺ فقال له الْعَبَّاسُ بن عبد الْمُطَّلِبِ ﷺ :(يا رَسُولَ اللَّهِ إني أُرِيدُ أَنْ أَمْدَحَكَ)، فقال له النبي ﷺ : (هَاتِ، لا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ)، فَأَنْشَأَ الْعَبَّاسُ ﷺ يقول:

مِنْ قَبْلَهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي *** مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ

ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ *** أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ *** أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ *** إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ *** خِنْدَفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ *** الْأَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ

([1]) سورة الضحى: ١١.

([2]) سورة المجادلة: ٢٢.

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي *** النُّورِ وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ[1].

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) قال الحافظ الذهبي . رحمه الله .: الظِّلَالُ: ظِلَالُ الْجَنَّةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ [2]، وَالْمُسْتَوْدَعُ: هُوَ الْمَوْضِعُ الذي كان آدَمُ وَحَوَّاءُ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنَ الْوَرَقِ، أَيْ يَضُمَّانِ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ يَتَسَتَّرَانِ بِهِ، ثُمَّ هَبَطْتَ إِلَى الدُّنْيَا فِي صُلْبِ آدَمَ، وَأَنْتَ لَا بَشَرٌ وَلَا مُضْغَةٌ.

وَقَوْلُهُ: تَرْكَبُ السَّفِينَ، يَعْنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ. وَصَالِبُ لُغَةٌ غَرِيبَةٌ فِي الصُّلْبِ، وَيَجُوزُ فِي الصُّلْبِ الْفَتْحَتَانِ كَسَقَمٍ وسقم.

والطّبق: القرن، أي: كُلَّمَا مَضَى عَالَمٌ وَقَرْنٌ جَاءَ قَرْنٌ، وَلِأَنَّ الْقَرْنَ يُطْبِقُ الْأَرْضَ بِسُكْنَاهُ بِهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ فِي الِاسْتِسْقَاءِ: (اللهم اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً طَبَقاً غَدَقاً)[3] ، أَيْ يُطْبِقُ الْأَرْضَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [4] أَيْ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ.

وَالنُّطُقُ: جَمْعُ نِطَاقٍ وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ الْوِسْطُ وَمِنْهُ الْمِنْطَقَةُ. أَيْ: أَنْتَ أَوْسَطُ قَوْمِكَ نَسَباً. وَجَعَلَهُ فِي عَلْيَاءَ وَجَعَلَهُمْ تَحْتَهُ نِطَاقاً. وَضَاءَتْ: لُغَةٌ فِي أَضَاءَتْ[5].

٢)) استحباب تذكّر نعمة بعثة النبي ﷺ وولادته ، فذلك من النعم التي أنعم الله تعالى بها على البشرية جميعاً، وقد أقرّ الرسول ﷺ العباس رضي الله عنه أن يمتدحه وأن يُذكّره بولادته وبركاتها، وهذه حجة لمن يتذكر ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ ويشكر الله تعالى على ذلك ، ويقرأ سيرته العطرة ليقتدي بشريعته السمحة، وقد سبقهم العباس رضي الله عنه وفي حضرة الرسول ﷺ، وذلك اتباعاً

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣٦٩/٣ واللفظ له وقال: هذا حديث تفرد به رواته الأعراب عن آبائهم وأمثالهم من الرواة لا يضعون. وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير٤/ ٢١٣، وأبو بكر بن عبدوَيْه البزَّاز في فوائده ٢٨٢، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة٩٨٣/٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٢٦٨/٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق٤١٠/٣، قال الهيثمي :رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ. مجمع الزوائد٢١٨/٨، وقال الذهبي : قال الحاكم: رواته أعراب ومثلهم لا يُضعّفون. قلت: ولكنهم لا يعرفون . سير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٣.

(٢) سورة المرسلات: ٤١.

(٣) أخرجه ابن ماجه واللفظ له في سننه ك: الصلاة وإقامة السنة، بَاب ما جاء في الدُّعَاءِ في الِاسْتِسْقَاءِ ح ١٢٧٠، قال البوصيري بعد الحديث: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه١٥١/١، والحاكم في مستدركه١/ ٤٧٦ وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين بهز بن أسد العمي، الثقة الثبت، قد رواه عن شعبة بإسناده عن مُرة بن كعب، ولم يشك فيه، مرة بن كعب البهزي صحابي مشهور.

(٤) سورة الانشقاق: ١٩.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام٤٩٥/١.

لأمر الله تعالى بتذكّر نعمه على خلقه قال الله تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١)، وقال جلّ ذكره :﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٢)، وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٣).

٣)) مدح الرسول ﷺ يُعدُّ من الفضائل التي يتسابق إليها المتسابقون، ويبدع فيها الشعراء والمبدِعُون، ليس كما يفهم بعضهم أن النبي ﷺ بحاجة إلى مدحهم وثنائهم ؛ بل لأنهم يرجون الفضل والأجر من الله تعالى ، فمدحه من علامة حب الله تعالى ، وأما ما قد يستدل به على منع مدح النبي ﷺ بقوله : (لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتْ النَّصَارَى بن مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أنا عَبْدُهُ فَقُولُوا عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ)(٤)، فهذا جهل فاضح؛ إذ الحديث يمنع المدح المشابه لمدح النصارى في سيدنا عيسى بن مريم . عليه السلام . إذ مدحه قومه بوصفه بصفات الله تعالى عمّا قالوا وافتروا ، وليس منع المدح مطلقاً ، فلو أن رجلاً صلّى صلاة غير صحيحة . بأن لم تتوفّر فيها أركانها أو فقدت شرطاً من شروط صحتها . فإذا جاء شخص، فتقول له: لا تُصَلِّ كصلاة فلان . صلاة غير صحيحة . فهل تمنعه من الصلاة مُطلقاً أم من الصلاة غير الصحيحة ؟ بالطبع منعته من الصلاة الباطلة ، فمَنْ منع من مدح النبي ﷺ مطلقاً لهذا الحديث فكأنه منع هذا الرجل في المثال من الصلاة مُطلقاً، وهذا جهل وافتراء ! قال الإمام القرطبي . رحمه الله . : (وأما قوله ﷺ في صحيح الحديث: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وقولوا: عبد الله ورسوله)، فمعناه: لا تصفوني بما ليس في من الصفات، تلتمسون بذلك مدحي، كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه، فنسبوه إلى أنه ابن الله، فكفروا بذلك وضلوا. وهذا يقتضي أن من رفع امرأ فوق حدِّه وتجاوز مقْدَاره بما ليس فيه فمُعتدٍّ آثم؛ لأن ذلك لو جاز في أحد لكان أولى الخلق بذلك رسول الله ﷺ)(٥).

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة المائدة: ٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأنبياء، بَاب ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ سورة مريم: ١٦ ،ح ٣٢٦١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن٥/ ٢٤٧.

ولهذا لم يتوان الصحابة الكرام ﷺ، والعلماء الأعلام، بمدح حبيبهم عليه الصلاة والسلام كمثل سيدنا العباس وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت ﷺ وغيرهم ، ولقد أجاد البوصيري . رحمه الله . في قوله :

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصارَى في نَبيِّهِمِ ** وَاحكُمْ بما شِئْتَ مَدْحاً فيهِ واحْتَكِمِ

وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ**وَانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئْتَ منْ عِظَمِ

فإن فضلَ رسولِ اللهِ ليسَ لهُ** حَدٌّ فيُعْرِبَ عنه ناطِقٌ بفَمِ...

فمبلغُ العلمِ فيهِ أنهُ بشرٌ ** وأنهُ خيرُ خلقِ اللهِ كلهمِ

قال الحافظ ابن حجر . رحمه الله .: (قَوْلُهُ :(لَا تُطْرُونِي) بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَالْإِطْرَاءُ الْمَدْحُ بِالْبَاطِلِ، تَقُولُ: أَطْرَيْتُ فُلَاناً مَدَحْتُهُ فَأَفْرَطْتُ فِي مَدْحِهِ، قَوْلُهُ: (كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابن مَرْيَمَ)، أَيْ: فِي دَعْوَاهُمْ فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ)[1].

٤)) قال الإمام ابن الجزري . رحمه الله .: لا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ، أي: لا يسقط الله أسنانك . وتقديره : لا يكسر الله أسنان فيك، فحذف المضاف . يقال : فضه إذا كسره [2].

ومعنى الفض في اللغة: التفريق والكسر، ومنه انفض القوم، ومنه: لا يفضض الله فاك، وإن شئت لا يفض الله بالكسر والفتح والضم. وذكر بعض النحويين: أن معنى لا يفضض الله فاك قال: لا يجعله فضاء لا أسنان فيه؛ لأن الفضاء المكان الواسع. وهذا غلط في الاشتقاق؛ لأن لام الفعل من الفضاء ليست ضاداً ولام الفعل من فض ضاد [3].

وذكر العلامة علي القاري أنه يندب أن يقال لمن أنشد شعراً مذموماً : فض الله فاك ثلاثاً للأمر بذلك[4].

المبحث السادس

فضل سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ

روى الحاكم . رحمه الله . بسنده قال : حدثني أبو جعفر أحمد بن عبيد الحافظ بهمدان ثنا محمد بن إبراهيم ثنا عمرو بن زياد ثنا غالب بن عبد الله القرفساني عن أبيه عن جده حبيب بن أبي حبيب ﷺ قال : شهدتُ رسول الله ﷺ قال لحسان بن

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦/ ٤٩٠، وذكر ذلك الطيبي في شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ الكاشف عن حقائق السنن١٠/ ٣١٤٦.

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر٣/ ٤٥٣.

(3) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح١/ ٣٦٨.

(4) انظر: مرقاة المفاتيح ٢/ ٣٨٥.

ثابت: قلتَ في أبي بكر شيئاً، قال: نعم، قال: قلْ حتى أسمع قال: قلتُ :

وَثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ المُنِيفِ وَقَد ** طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ يَصْعَدُ الْجَبَلا

وَكَانَ حِبَّ رَسُول الله قَدْ عَلِمُوا ** مِنَ الخلائق لَمْ يَعْدِلْ بِهِ بدلا.

(فتبسم رسول الله ﷺ).

وقال الحاكم : حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن مخلد الجوهري ببغداد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا الخليل بن زكريا ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي قال: سألت عن ابن عباس أو سُئل مَنْ أول من أسلم؟ فقال: أما سمعت قول حسان ﷺ :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ *** فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعْدَلُهَا *** بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

وَالثَّانِي وَالتَّالِي الْمَحْمُودُ مَشْهَدُهُ *** وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلَا[1]

وأخرجه البيهقي بزيادة هذا البيت :

عَاشَ حَمِيداً لِأَمْرِ اللهِ مُتَّبِعًا *** بِهَدْيِ صَاحِبِهِ الْمَاضِي وَمَا انْتَقَلَا [2]

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) قال الحافظ السخاوي . رحمه الله .: اخْتَلَفَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي أَيِّ الصَّحَابَةِ أَوَّلُ إِسْلَاماً، عَلَى أَقْوَالٍ. (فَقِيلَ) كَمَا لِابْنِ عَبَّاسٍ وَالنَّخَعِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ سَأَحْكِي عَنْهُ: (أَبُو بَكْرٍ) الصِّدِّيقُ ﷺ ؛ لِقَوْلِهِ كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْهُ: (أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) . وَلِقَوْلِهِ ﷺ لِعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ حِينَ سَأَلَهُ مَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ: (حُرٌّ وَعَبْدٌ) ؛ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَبِلَالًا) ثم ذكر أبيات حسّان.

(وَقِيلَ: بَلْ) أَوَّلُهُمْ إِسْلَامًا (عَلِي) بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ: (اللَّهُمَّ لَا أَعْرِفُ عَبْدَكَ قَبْلِي غَيْرَ نَبِيِّكَ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ – لَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ النَّاسُ سَبْعاً)[3] . وَسَنَدُهُ حَسَنٌ. وَلِقَوْلِهِ مِمَّا أَنْشَدَهُ الْقُضَاعِيُّ:

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣/ ٦٧، وابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني ٨٤/١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/٧، والطبراني في معجمه الكبير٨٩/١٢، وأخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة١٢٣/١، والطبري في تاريخه ٥٣٩/١ كلاهما من طريق : عبد الرحمن بن مغراء، قال ابن أبي حاتم : قال أبي: هذا حديث منكر، وأرى أبا زهير أخذه عن الهيثم بن عدى، ثم ذكر طريق الطبراني. علل الحديث٣٨٢/٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٦٠٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٩٩ قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى باختصار والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن. مجمع الزوائد٩/ ١٠٢،وانظر: اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي١/ ٢٩٦، وقد توسّع صاحب ذيل القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد تأليف أحمد للمدارسي الهندي ص٦٤ في الكلام عليه.

سَبَقْتُكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ طُرًّا *** صَغِيرًا مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلُمِي

وَلِمَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ وَجَابِرٍ وَخَبَّابٍ وَخُزَيْمَةَ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَسَلْمَانَ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً، وَعَفِيفٍ الْكِنْدِيِّ وَمَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ وَالْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ وَيَعْلَى بْنِ مُرَّةَ وَأَبِي أَيُّوبَ وَأَبِي ذَرٍّ وَأَبِي رَافِعٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فِي آخَرِينَ، مِنْهُمْ مُسْلِمٌ الْمُلَائِيُّ ﷺ. وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيِّ لِخُزَيْمَةَ:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ هَذَا الْأَمْرَ مُنْصَرِفاً *** عَنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أَبِي حَسَنٍ

أَلَيْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقِبْلَتِهِمْ *** وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْفُرْقَانِ وَالسُّنَنِ

وَأَنْشَدَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ لِبَكْرِ بْنِ حَمَّادٍ التَّاهَرْتِيِّ . رحمه الله .:

قُلْ لِابْنِ مُلْجِمٍ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ ... هَدَّمْتَ وَيْلَكَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا

قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ... وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانَا

وَأَنْشَدَ الْفَرْغَانِيُّ فِي الذَّيْلِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ يَذْكُرُ عَلِيّاً وَسَابِقَتَهُ مَعَ كَوْنِهِ يُرْمَى بِأَنَّهُ نَاصِبِيٌّ:

فَأَوَّلُ مَنْ صَلَّ فِي مَوْقِفٍ ... يُصَلِّي مَعَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ

(وَ) لَكِنْ (مُدَّعِي إِجْمَاعِهِ) ؛ أَيْ: الْإِجْمَاعِ فِي هَذَا الْقَوْلِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ ؛ حَيْثُ قَالَ فِي (عُلُومِ الْحَدِيثِ) لَهُ: لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا بَيْنَ أَصْحَابِ التَّوَارِيخِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي بُلُوغِ عَلِيٍّ، (لَمْ يُقْبَلِ) ، بَلِ اسْتُنْكِرَ مِنْهُ كَمَا قَالَهُ ابْنُ الصَّلَاحِ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَى إِطْلَاقِ الْأَوَّلِيَّةِ فِيهِ مِنْ وَجْهٍ يَصِحُّ، هَذَا مَعَ أَنَّ الْحَاكِمَ قَالَ بَعْدَ حِكَايَتِهِ الْإِجْمَاعَ: وَالصَّحِيحُ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ ؛ لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ الْمَاضِي.

(وَقِيلَ) حَسْبَمَا ذَكَرَهُ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَوَّلُهُمْ إِسْلَاماً (زَيْدٌ) هُوَ ابْنُ حَارِثَةَ، (وَادَّعَى) حَالَ كَوْنِهِ (وِفَاقاً) ؛ أَيْ: مُوَافِقًا لِمَنْ سَبَقَهُ إِلَى مُطْلَقِ الْقَوْلِ بِهِ ؛ كَقَتَادَةَ وَابْنِ إِسْحَاقَ صَاحِبِ (الْمَغَازِي) . بَلْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً وَعَائِشَةَ وَالزُّهْرِيِّ وَنَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ (بَعْضٌ) ؛ كَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَالثَّعْلَبِيِّ، (عَلَى خَدِيجَةَ) أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنَّهَا أَوَّلُ الْخَلْقِ إِسْلَاماً (اتِّفَاقاً) . زَادَ الثَّعْلَبِيُّ: وَإِنَّ الِاخْتِلَافَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ بَعْدَهَا. وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ حِكَايَةَ الِاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّ إِسْلَامَ عَلِيٍّ بَعْدَهَا.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَوْنُهَا أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَاماً هُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقَاتِ فِي أَوَّلِ الْبَعْثَةِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ الصَّوَابُ عِنْدَ جَمَاعَةِ الْمُحَقِّقِينَ.

وَجَمَعَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بَيْنَ الِاخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ بِأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ، ثُمَّ رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ أَنَّ عَلِيًّا أَخْفَى إِسْلَامَهُ مِنْ

أَبِيهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَظْهَرَ أَبُو بَكْرٍ إِسْلَامَهُ ؛ وَلِذَلِكَ شُبِّهَ عَلَى النَّاسِ. وَنَحْوُهُ قَوْلُ شَيْخِنَا فِي قَوْلِ عَمَّارٍ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ)[1] ، مُرَادُهُ مِمَّنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ حِينَئِذٍ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يُخْفُونَهُ مِنْ أَقَارِبِهِمْ.

وَكَذَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَوَّلُ مَنْ آمَنَ خَدِيجَةُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ آمَنَ، وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ زَيْدٌ، فَكَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ أَسْلَمَ بَعْدَ عَلِيٍّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ فَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ، فَأَسْلَمَ بِدُعَائِهِ عُثْمَانُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَطَلْحَةُ، فَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الثَّمَانِيَةَ أَسْبَقُ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ. وَقِيلَ فِيمَا نَقَلَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَوَّلُهُمْ إِسْلَامًا بِلَالٌ ؛ لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ الْمَاضِي.

وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ الصَّلَاحِ[2] بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فَقَالَ: وَالْأَوْرَعُ أَنْ يُقَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ، وَمِنَ الصِّبْيَانِ عَلِيٌّ، وَمِنَ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ، وَمِنَ الْمَوَالِي زَيْدٌ، وَمِنَ الْعَبِيدِ بِلَالٌ. وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ ؛ لِاجْتِمَاعِ الْأَقْوَالِ بِهِ. عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُبِقَ بِهِ مَا عَدَا بِلَالاً، فَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ إِسْحَاقَ ابْنَ رَاهَوَيْهِ ذَكَرَ الِاخْتِلَافَ فِي أَوَّلِ مَنْ أَسْلَمَ، فَقَالَ: الْخَبَرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ صَحِيحٌ، أَمَّا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ فَخَدِيجَةُ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ فَأَبُو بَكْرٍ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي فَزَيْدٌ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ فَعَلِيٌّ ﷺ.

وَكَذَا جَاءَ بِدُونِهِ وَبِدُونِ زَيْدٍ أَيْضاً عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، فَرَوَى الْحَاكِمُ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ حَمْزَةَ الْوَاعِظِ مِنْ تَارِيخِ نَيْسَابُورَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مِسْهَرٍ: ثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ: أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ أَبُو بَكْرٍ، وَمِنَ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ، وَمِنَ الصِّبْيَانِ عَلِيٌّ. وَكَانَ الْبُرْهَانُ التَّنُوخِيُّ يَقُولُ: الْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: وَمِنْ غَيْرِ الْبَالِغِينَ عَلِيٌّ، وَهُوَ حَسَنٌ. وَفِي الْمَسْأَلَةِ أَقْوَالٌ أُخَرُ [3].

٢)) في الحديث بيان فضل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ أحبّ سيدنا النبي ﷺ أن يستمع لما قيل في أبي بكر رضي الله عنه من الشعر، وفي ذلك علامة قوية لمحبته ، كيف لا، وأبو بكر الصديق بذل ماله ونفسه من أجل رسول الله ﷺ، ونصرة لشريعته ودينه، وهو الذي بكى لشدّة فرحه بموافقة الرسول ﷺ أن يرافقه في الهجرة، فأيُّ محبة هذه؟ وأيّ تفان هذا؟ وأيّ ودٍّ هذا؟

٣)) استحباب تذكّر الذكريات الطيّبة، والمجاهدات المباركة، فهذا سيدنا رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: فضائل الصحابة، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ لو كنت مُتَّخِذًا خَلِيلًا ح ٣٤٦٠.

(٢) نسب هذا الجمع بين هذه الأقوال ابن كثير للإمام أبي حنيفة . انظر: البداية والنهاية٣/ ٢٩.

(٣) انظر : فتح المغيث شرح ألفية الحديث٣/ ١٣٤ . ١٣٧، وانظر: أعلام النبوة للماوردي ٣١٣.

ﷺ أحبَّ أن يسمع عن بعض موقف من مواقف الهجرة إلى المدينة المنوّرة؛ لأن الله تعالى ذكْره قد أنعم عليه بنعم، وسلّمه هو وصاحبه الصديق من كيد أعدائه، فيا لها من مواقف ومحطات ، للتزود منها العبر والعظات، وصدق حسان ﷺ في قوله:

وَثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ المُنِيفِ وَقَد ** طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ يَصْعَدُ الْجَبَلا

فهنيئاً لأبي بكر ﷺ بالصحبة وبالرفقة ومعيّة الله تعالى، فأنْعم بخطابٍ نديٍّ وتأييدٍ إلهي من الحق تعالى ، للاثنين معا: الصادق ﷺ والصدِّيق ﷺ، قال الله تعالى :﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

المبحث السابع
نُجدة المسلمين

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ جَمِيعاً، قَالَا: كَانَ فِي صُلْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ ، فَتَوَاثَبُوا خُزَاعَةُ فَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ فَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ. فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةَ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ، الَّذِينَ دَخَلُوا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَهْدِهِ لَيْلًا بِمَاءٍ لَهُمْ، يُقَالُ لَهُ: الْوَتِيرُ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ. فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ، فَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِلضَّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ، وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا:

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

اللهُمَّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

كُنَّا وَالِدًا وَكُنْتَ وَلَدَا ... ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ رَسُولَ اللهِ نَصْرًا عَتِدَا ... وَادْعُوا عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا ... وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا

فَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا ... قَدْ جَعَلُوا لِي بِكَدَاءَ مَرْصَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ... فَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ**)، فَمَا بَرِحَ حَتَّى مَرَّتْ عَنَانَةٌ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: :(**إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ**). وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ، وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قُرَيْشٍ خَبَرَهُ حَتَّى يَبْغَتَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ)[1].

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) فضل النجدة في الإسلام ، فقد جاء الإسلام وكان العرب يتّصفون بصفات وأخلاق فاضلة ومنها: النجدة للمستنجد من ظلم وقع به أو همٍّ ألمَّ به، أو ضرٍّ نزل عليه، وصدق رسول الله ﷺ في قوله :(**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُوماً، فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إذا كان مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إذا كان ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: تَحْجُزُهُ أو تَمْنَعُهُ من الظُّلْمِ فإن ذلك نَصْرُهُ**)[2]، وفي الحديث الآخر : (**ما من امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِماً في مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ إلا خَذَلَهُ الله في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ وما من امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً في مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ من حُرْمَتِهِ إلا نَصَرَهُ الله في مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ**)[3]، فقد ترجم النبي ﷺ قوله بفعله ، فكان النصر والظفر.

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار٣/ ٢٩١، والبيهقي واللفظ له في سننه الكبرى٩/ ٣٩٠ .٣٩١، والطبراني في معجمه الصغير٢/ ١٦٨، وابن أبي شيبة في مصنفه٧/ ٤٠١، والبزار مختصراً كما في مختصر زوائد مسند البزار لابن حجر٢/٧٧ وقال : هو إسناد حسن، ولكن المحفوظ أنه مرسل، كذلك أخرجه ابن أبى شيبة وغيره. ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق٤٣/ ٥٢٠، وقال الهيثمي : رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ. مجمع الزوائد٦/ ١٦٢، وقد تكلّم الحافظ ابن حجر على طرق الحديث فانظرها في فتح الباري ٧/ ٥٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كِتَاب: الْإِكْرَاهِ، بَاب يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ إنه أَخُوهُ إذا خَافَ عليه الْقَتْلَ أو نَحْوَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُكْرَهٍ يَخَافُ... ح ٦٥٥٢.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ك: الأدب ، بَاب من رَدَّ عن مُسْلِمٍ غِيبَةً ح ٤٨٨٤، إسناده حسن قاله الهيثمي في مجمع الزوائد٧/ ٢٦٧.

٢)) ليس للكافر عهد ولا ذمّة، والكفر ملة واحدة، ولهذا قلّ أن يرجى من الكافر الوفاء؛ لأنه لا ظلم أعظم من الكفر، قال الله تعالى :﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [١] ، وجاءت السنة المشرفة ببيان خطر وضرر من لا وفاء له للعهود فكأنه لا دين له ! فعن أَنَسٍ ﷺ قال ما خَطَبَنَا النبي ﷺ إلاَّ قال: (لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ له وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ له)[٢]، والعجب العُجاب أن ترى المسلمين يركنون للكفرة والطغاة !! ولا يطمئنون لإخوانهم المسلمين! وإن تعجب فأعجب من مسلم ليس له عهد ولا وفاء بل خيانة وجفاء!!

٣)) قد يرى المسلم ما يجري في الكون من شدائد على المسلمين ونكبات أنها شرّ كلها ، وبلاء عظيم لا يعقبه نصر وفرج قريب ! وهذا يتنافى مع سنة الله تعالى في الكون ، فالإنسان في هذه الحياة في ابتلاء قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [٣]، ولا حظ في الظرفية، فكأن الإنسان وسط المشاق والنوائب والمصاعب، فهذه سنة الله تعالى في عباده ، وما يرونه من شرٍّ قد يكون خيراً لهم في الدنيا أو الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤].

وانظر إلى ما حصل بالمسلمين من بني خزاعة، وهو غدر قريش بهم، والفتك بهم، وهم في صلاتهم!، وهم حلفاء النبي ﷺ ! فكان ذلك الابتلاء سبباً لفتح مكة المكرمة إلى يوم الدين ! ولهذا يقول العارفون بالله تعالى : وراء كلّ محْنةٍ منْحةٍ !!

وتمعّن أخي في قول النبي ﷺ : (اعْلَمْ أن في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وأن النَّصْرَ مع الصَّبْرِ وأن الْفَرَجَ مع الْكَرْبِ وأن مع الْعُسْرِ يُسْراً)[٥]، ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر: أن الكرب إذا اشتدَّ وعظم وتناهى، وحصل للعبد اليأس من كشفه من

---

(١) سورة التوبة: ٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له ٣/٢١٠، وابن حبان في صحيحه ١/ ٤٢٢، وأبو يعلى في مسنده ٥/ ٢٤٧، وقال الذهبي سنده قوي . وقال الهيثمي : وفيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره. انظر: فيض القدير للمناوي٦/٣٨١ ، ومجمع الزوائد ١/٩٦. قال الطحاوي في معنى الحديث : فلم يكن من لا أمانة له لا إيمان له، ولا من لا عهد له لا دين له، ولكنه لا إيمان أعلى مراتب الإيمان لمن لا أمانة له، ولا دين أعلى مراتب الدين لمن لا عهد له. شرح مشكل الآثار ١٠/٤٣.

(٣) سورة البلد: ٤.

(٤) سورة البقرة: ٢١٦.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له ١/ ٣٠٧ ، والحاكم في مستدركه ٣/ ٦٢٣، والحديث صحيح. انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي٢٥٧.

جهة المخلوقين، تعلّق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكّل على الله تعالى.

وهذا الحديث جزء من حديث ابن عباس ﷺ الطويل المشهور الذي اشتمل على نصائح قيّمة، ودُرر مُنْجية، وهو بحق كما قال العلماء: ينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه، فيعمل به في جميع حركاته وسكناته؛ حتى يسلم في الدنيا والآخرة، ويجد العزة فيها برحمة الله تعالى.

وقال بعض العلماء: تدبّرت هذا الحديث فأدهشني وكِدتُ أطيش، فوا أسفاً من الجهل بهذا الحديث، وقلة التفهّم لمعناه [1].

٤)) في إنشاء عمرو بن سالم الخزاعي ﷺ قصيدته على رسول الله ﷺ يترجم فيها ما حصل ، يبرهن أن العرب من عادتهم أن الشعر والأدب يجري في عُروقهم كما يجري الدم، وقالها ارتجالاً ! وهي في مُنتهى الأسلوب الأدبي الرّصين ، وفي غاية الوضوح ، مع قوة الفصاحة، وفيها تفصيل عمرو بن سالم الشكوى، حين ناشد رسول الله ﷺ الوفاء بالحلف، وذكّره بالعلاقة الوطيدة بينهما قبل الإسلام ، ثم أعلن أن بني خزاعة أسلمت فزاد على الحلف قوةُ العقيدة، التي جمعت بين خزاعة والمسلمين، ورابط العقيدة يستلزم النصرة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [2] ، فطلبَ النصرَ والمددَ حين شكّت قريشٌ أن ينتصر رسولُ الله ﷺ – وهو في المدينة – لمسلمي خزاعة – وهم في مكة بين ظهراني المشركين.

فكان الإيجاب النبوي سريعاً حين قال النبي ﷺ :(نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم) والمسلم أخو المسلم لا يخذله، فاستعمل الفعل (نُصِرَ) بصيغة الماضي المبني للمجهول . قالها على ملأٍ من المسلمين الذين يملئون المسجد ، فترتاح نفس عمرو بن سالم ، ويحمل البشرى إلى قومه في مكة.

. أقول . : أين نحن اليوم من أمس؟ أمس هُجّر المسلمون من فلسطين، وهُجّر المسلمون من جزر بأكملها سُميت بعد بالفلبين، واليوم أُحرقت وقطعت أجساد من المسلمين الموحدين في بُورما !! والمسلمون مشغولون بثوراتهم المسيّسة من قِبَلِ غيرهم !! إلى الله المشتكى والمفزع !!

٥)) في نظر النبي ﷺ إلى السماء فيرى سحاباً يمتدّ في أفق المدينة المنوّرة، فيتفاءل برضى رب السماء عن نصرة المظلوم، وهو منهج نبوي شريف في التفاؤل، ولو في وقت الشدائد، وما

---

(1) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ١٨٥ .

(2) سورة الحجرات: ١٠.

السحاب إلّا عنوان الغيث والنُّصرة، وينقل تفاؤله هذا إلى أصحابه يشجعهم ويستنهض هممهم حين يقول مبشراً بفتح الله تعالى :(إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ).

المبحث الثامن

أهمية الخطابة والشعر الحسن في الإسلام

قال الإمام الواحدي .رحمه الله .: أَخْبَرَنَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُقْرِئُ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ السَّدُوسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ صَالِحِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاءَتْ بَنُو تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنَادَوْا عَلَى الْبَابِ: يَا مُحَمَّدُ، اخْرُجْ إِلَيْنَا، فَإِنَّ مَدْحَنَا زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمَّنَا شَيْنٌ، فَسَمِعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ اللَّهُ الَّذِي مَدْحُهُ زَيْنٌ وَذَمُّهُ شَيْنٌ)، فَقَالُوا: نَحْنُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ جِئْنَا بِشَاعِرِنَا وَخَطِيبِنَا نُشَاعِرُكَ وَنُفَاخِرُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(مَا بِالشِّعْرِ بُعِثْتُ وَلَا بِالْفِخَارِ أُمِرْتُ وَلَكِنْ هَاتُوا)، فَقَالَ الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ لِشَابٍّ مِنْ شَبَابِهِمْ: قُمْ فَاذْكُرْ فَضْلَكَ وَفَضْلَ قَوْمِكَ، فَقَامَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا خَيْرَ خَلْقِهِ، وَآتَانَا أَمْوَالًا نَفْعَلُ فِيهَا مَا نَشَاءُ، فَنَحْنُ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ عُدَّةً، وَمَالًا وَسِلَاحًا، فَمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْنَا قَوْلَنَا فَلْيَأْتِ بِقَوْلٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِنَا، وَفِعَالٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ فِعَالِنَا)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ: (قُمْ فَأَجِبْهُ)، فَقَامَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا الْمُهَاجِرِينَ مِنْ بَنِي عَمِّهِ أَحْسَنَ النَّاسِ وُجُوهًا وَأَعْظَمَهُمْ أَحْلَامًا – فَأَجَابُوهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا أَنْصَارَهُ وَوُزَرَاءَ رَسُولِهِ وَعِزًّا لِدِينِهِ، فَنَحْنُ نُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا مَنَعَ مِنَّا نَفْسَهُ وَمَالَهُ، وَمَنْ أَبَاهَا قَتَلْنَاهُ، وَكَانَ رُغْمُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى علينا هينًا، قول قولي هذا وأستغفر الله لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَقَالَ الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ لِشَابٍّ مِنْ شُبَّانِهِمْ: قُمْ يَا فُلَانُ، فَقُلْ أَبْيَاتاً تَذْكُرُ فِيهَا فَضْلَكَ وَفَضْلَ قَوْمِكَ، فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ:

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا *** فِينَا الرُّؤُوسُ وَفِينَا تُقْسَمُ الرُّبَعُ

وَنُطْعِمُ النَّاسَ عِنْدَ الْقَحْطِ كُلِّهِمُ *** مِنَ السَّدِيفِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَزَعُ

إِذَا أَبَيْنَا فَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ *** إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

قَالَ: فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ فَقَالَ: وَمَا يُرِيدُ مِنِّي وَقَدْ كُنْتُ عِنْدَهُ؟ قَالَ: جَاءَتْ بَنُو تَمِيمٍ بِشَاعِرِهِمْ وَخَطِيبِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَأَجَابَهُمْ وَتَكَلَّمَ شَاعِرُهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْكَ تُجِيبُهُ. فَجَاءَ حَسَّانُ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجِيبَهُ فَقَالَ حَسَّانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْهُ فَلْيُسْمِعْنِي مَا قَالَ. فَأَنْشَدَهُ مَا قَالَ، فَقَالَ حَسَّانُ رضي الله عنه:

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَالدِّينَ عَنْوَةً *** عَلَى رَغْمِ بَادٍ مِنْ مَعَدٍّ وَحَاضِرِ
أَلَسْنَا نَخُوضُ الْمَوْتَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى *** إِذَا طَابَ وِرْدُ الْمَوْتِ بَيْنَ الْعَسَاكِرِ
وَنَضْرِبُ هَامَ الدَّارِعِينَ وَنَنْتَمِي **** إِلَى حَسَبٍ مِنْ جِذْمِ غَسَّانَ قَاهِرِ
فَلَوْلَا حَيَاءُ اللَّهِ قُلْنَا تَكَرُّمًا *** عَلَى النَّاسِ بِالْخَيْفَيْنِ هَلْ مِنْ مُنَافِرِ
فَأَحْيَاؤُنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى *** وَأَمْوَاتُنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْمَقَابِرِ

قَالَ: فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُ لِأَمْرٍ مَا جَاءَ لَهُ هَؤُلَاءِ، وَقَدْ قُلْتُ شِعْراً فَاسْمَعْهُ، فَقَالَ: هَاتِ، فَقَالَ:

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْرِفَ النَّاسُ فَضْلَنَا *** إِذَا فَاخَرُونَا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
وَإِنَّا رُءُوسُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ *** وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ
وَإِنَّ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ *** تَكُونُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ التَّهَائِمِ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (قُمْ يَا حَسَّانُ فَأَجِبْهُ). فَقَامَ حَسَّانُ رضي الله عنه، فَقَالَ:

بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمُ *** يَعُودُ وَبَالًا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمُ *** لَنَا خَوَلٌ مِنْ بَيْنِ ظِئْرٍ وَخَادِمِ
وَأَفْضَلُ مَا نِلْتُمْ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى *** رِدَافَتُنَا مِنْ بَعْدِ ذِكْرِ الْأَكَارِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ *** وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَأَسْلِمُوا *** وَلَا تَفْخَرُوا عِنْدَ النَّبِيِّ بِدَارِمِ
وَإِلَّا وَرَبِّ الْبَيْتِ مَالَتْ أَكُفُّنَا *** عَلَى هَامِكُمْ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

قَالَ: فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّداً لَمُؤْتًى لَهُ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هَذَا الْأَمْرُ، تَكَلَّمَ خَطِيبُنَا فَكَانَ خَطِيبُهُمْ أَحْسَنَ قَوْلاً، وَتَكَلَّمَ شَاعِرُنَا فَكَانَ شَاعِرُهُمْ أَشْعَرَ، ثُمَّ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (مَا يَضُرُّكَ مَا كَانَ قَبْلَ هَذَا)، ثُمَّ أَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَسَاهُمْ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ

ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [1]) [2].

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) بيان الكلمات الغريبة في الشعر:

الرُّبَـعُ: هـو الْمِرْبَـاعَ: يقـال ربعـت القـوم أربعهـم إذا أخـذت ربـع أمـوالهم، مثـل عشـرتهم أعشـرتهم يريـد ألـم أجعلـك رئيسـاً مطاعـا؛ لأن الملـك كـان يأخـذ الربـع مـن الغنميـة فـي الجاهلية دون أصحابه [3].

---

(١) سورة الحجرات: ٢ ـ ٣ .

(٢) أخرج القصة الواحدي واللفظ له في أسباب نزول القرآن ٣٨٨ ـ ٣٩٠ ، وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره المسمى الكشف والبيان عن تفسير القرآن٧٥/٩ ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق١٨٨/٩ . ١٩٠، وقال : قال ابن مَنْدَه : هذا حديث غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه تفرد به المعلى. وكلهم من طريق معلى بن عبد وهو ضعيف، قال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، وضعفه ابن المديني، وذهب إلى أنه كان يضع الحديث، وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن عبد الرحمن بن جعفر المقلوبات لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وقال الدارقطني: ضعيف كذاب، وكان الدقيقي يثني عليه ، وقال ابن عدي: أرجو انه لا بأس به . انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي٣/ ١٣١، ولسان الميزان لابن حجر٣٩٤/٧ ، والقصة برواياتها ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٤٥، وأخرج القصة أيضاً ابن سعد من غير ذكر الشعر وإنما بالإشارة إليه في طبقاته الكبرى ١/ ٢٩٣ من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متروك ، وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس .انظر: تهذيب الكمال للمزي ٢٦/ ١٨٠ . ١٨٨ ، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ٢/ ٢٠٥ ، وقد أخرج القصة مختصرة دون الأبيات والخطبة الترمذي في جامعه عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ ﷺ في قَوْلِهِ:{ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ من وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }، قال فَقَامَ رَجُلٌ فقال يا رَسُولَ اللَّهِ: (إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ فقال النبي ﷺ: ذَاكَ الله) قال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. ك: التفسير، باب: سورة الحجرات ح ٣٢٦٧، وإسناده جيد كما قال ابن كثير. انظر: البداية والنهاية٤٦/٥، وقد أخرج البخاري القصة مختصرة جداً وفيها ذكر الشيخين أبو بكر وعمر، قال: عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: (كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﷺ ، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ – قَالَ نَافِعٌ لاَ أَحْفَظُ اسْمَهُ – فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ سورة الحجرات: ٢ ، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: (فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ) ك: التفسير ، بَاب { لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبي } الْآيَةَ ح ٤٥٦٤ ، وقد بيّن الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٩١/٨ بعد رواية البخاري وروايات أخر: أن هذه الروايات لا تعارض بينها؛ فإنّ أصل سبب نزول سورة الحجرات في جُفَاةُ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هُمْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وقول الحافظ هذا يدل على أن رواية معلى بن عبد الرحمن لها أصل ومتابع، ورُويت من طرق صحيحة مختصرة دون الخطبة والشعر، فالحديث أصله محفوظ وقد جوّد ابن كثير أحد طرقه كما سبق، وتعدد الأسباب لا تعارض فيه بين الروايات.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر١٨٦/٢.

السديف : وهو شحم السنام [١]. **والقزع** : السحاب .

عَنْــوَةً : عنــا يعنــو عنــوة إذا أخــذ الشــيء قهــراً ، وكــذلك إذا أخــذه صــلحا فهــو مــن الأضداد [٢].

حَوْمَــةِ الْــوَغَى : الــوغى : الحــرب نفســها ، وحومــة الحــرب أو القتــال : معظمــه وأشــد موضع فيه. [٣]

جذم : الجذم : الأصل [٤]. **هام** : والهامة : رأس كل شيء [٥].

بــالخيفين : الخيــف : مــا ارتفــع عــن مجــرى الســيل وانحــدر عــن غلــظ الجبــل . ومسجد منى يسمى مسجد الخيف ، لأنه في سفح جبلها .[٦]

الْمِرْبَاعَ : هي من النوق التي تلد في أول النتاج [٧].

ظِئْر : جمع الظؤئر المرضعة غير ولدها [٨].

بالمرهفــات : يقــال : رهفــت الســيف وأرهفتــه، فهــو مرهــوف ومرهــف أي: رققــت حواشيه ، وأكثر ما يقال مرهف [٩].

٢)) عناية الإسلام بالخطابة، بل رسالته كلّها مبناها على وحي يوحى وقرآن يُتلى، وقراءته عبادة، وكانت كبرى المعجزات إنما هي فصاحة وبلاغة ، تحدّى الفصحاء والبلغاء في صميم لغتهم وفي عُقر ديارهم، فتراجع أمامها فرسان البلاغة، وتراجع دونها أئمة البيان، واستسلموا لسلطانها وسجدوا لسحر بيانها، قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [١٠]، وقد نوّه القرآن الكريم عن مدى عِظم الخطابة والبيان، وصلتهما بالرسالات والدعاة في غير موطن، فعن أصل الرسالة يقول الله تعالى: ﴿

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٥٥.

(٢) انظر: المصباح ٢ / ٤٣٤.

(٣) انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٩٧، و١٢/ ١٦٢، مادة (وغى) و (حوم).

(٤) المصدر السابق ١٤/ ١٣٨، مادة (جذا).

(٥) المصدر السابق ١٢/ ٦٢٤، مادة (هوم).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٩٣.

(٧) المصدر السابق ٨/ ١٠٦.

(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٥٣.

(٩) المصدر السابق ٢/ ٢٨٣. وانظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي ١٠/ ٢٧٣.

(١٠) سورة الزمر: ٢٣.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [1].

ونوّه عن مساندتها للرسالة في قصة بعثة موسى ومساندته بأخيه هارون . عليهما السلام . كما في قوله تعالى عن موسى: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [2]، فكانت فصاحة أخيه من عوامل ترشيحه للرسالة، وشد عضد أخيه . وفي مقْدم وفد بني تميم على الرسول ﷺ صورة واضحة لعِظم أثر الخطابة في الدعوة الإسلامية .

٣)) كون الخطابة سلاحاً للدفاع عن الدعوة لقوله ﷺ لثابت: (فأجبه)، ومعلوم أن الإجابة دفاع، فقوّة الخطابة مدْعاة للإقناع والاستمالة، ومن ثمَّ الاستجابة للدعوة، لقول الأقرع بن حابس بعد سماعه خطابة ثابت بن قيس وتأثّره بها قال: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هَذَا الْأَمْرُ، تَكَلَّمَ خَطِيبُنَا فَكَانَ خَطِيبُهُمْ أَحْسَنَ قَوْلاً، وَتَكَلَّمَ شَاعِرُنَا فَكَانَ شَاعِرُهُمْ أَشْعَرَ ، ثم دنا من رسول الله ﷺ ونطق بالشهادتين وأعلن إسلامه ، إنه الحقّ والصدق والقوة في الخطاب .

٤)) هكذا كان هدي النبي ﷺ إذا ظهر أمر أو استجد شيء، قام النبي ﷺ خطيباً حكيماً، ونبياً مُلهماً، وإماماً مُعلّماً، لا طعاناً في الخطاب ولا فحّاشاً في الكلام ، يتخيّر من الكلام أحسنه، ومن الجواب أخلصه، ومن المعنى أقربه، فكلامه جمال وكمال، وصمته إجلال لله المتعال، وقد كانت خطبته ﷺ في حجة الوداع، خلاصة عامة جامعة، شاملة لمهام الدّين، وأُسس التعامل، فقد اشتملت البيان والبلاغ في أعظم جمعٍ للمسلمين.

وهكذا كل من جاء بعده من الخلفاء والأمراء والولاة، إلى أواخر العصر العباسي، ظلت الخطابة موضع العناية وأداة التوجيه، إلى أن أُصيب العالم الإسلامي بما يسمّى الانحطاط الأدبي، فأُهملت الخطابة، واقتصرت على الجُمع والأعياد، في شكليات وتقاليد حتى أصبحت خطبة الجمعة تُعاد وتُكرر في كل جمعة من موعدها في السنة التي تليها، ووضعت دواوين لهذا الغرض، وصارت مهمّة الخطيب أن يتلو ما كتبَ غيره، فضعُفت الملَكات الخطابية، وماتت القدرة الإنشائية عند بعض الناس [3].

٥)) في قول رسول اللَّهِ ﷺ :(مَا بِالشِّعْرِ بُعِثْتُ) ما يدل على أنه لم يقل الشعر وما ينبغي له، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴾ [4]، وما ورد عنه

---

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) سورة القصص: ٣٤.

(٣) انظر : الفرائد لما في خطبة الوداع من الفوائد ١١ ـ ١٢ لكاتب هذه السطور . عفا الله عنه ـ .

(٤) سورة يس: ٦٩، انظر: ما ذكره الإمام الرازي عن هذه الآية الشريفة في التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب٢٦/

ﷺ قوله : أنا النبي لَا كَذِبْ .. أنا بن عبد الْمُطَّلِبْ[1].

فهذا ممّا اتفق وزنه من غير قصد له، وما كان كذلك فليس بشعر، ولا يسمى شعراً إلا ما قُصد وزنه.

وقد لخص الإمام الطيّبي ـ رحمه الله ـ الجواب عن مثل ما صدر عن النبي ﷺ مما يوهم أنه شعر بأوجه فيما يأتي:

الأول: أن المروي عنه من باب الرجز وهو ليس بشعر.

الثاني: أن قول الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾ [2]، وقوله سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [3]، وقوله جلَّ جلاله :﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾[4] ، ونظائرها، مسُوقة لتكذيب الكفار فيما بهتوه. ولا يُقال لمن تفوّه ببيت واحد على ندور إنه شاعر.

الثالث: أنه لم يقصد بذلك الشعر ولا عُمد إلى مراعاة الوزن، لكنه اتفق أن جرى ذلك لسانه موزوناً، وأمثال ذلك كثير في القرآن الكريم وفي منثورات الفصحاء، لكن لما لم يكن للقائل بها قصد إلى وزن ولا التفات إليه، لم يُعد شعراً، ولا القائل بها شاعراً [5].

٩٢، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٨٠.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسر، بَاب من قَادَ دَابَّةَ غَيْرِهِ في الْحَرْبِ ح ٢٧٠٩.

(٢) سورة الحاقة: ٤١.

(٣) سورة الطور: ٣٠ .

(٤) سورة الحاقة : ٤١.

(٥) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)١٠/ ٣١٠٠.

المبحث التاسع
ببركة الحبيب المصطفى ﷺ يسقى الناس

قال الإمام الطبراني . رحمه الله . : حدثنا علي بن سعيد الرازي: حدثنا أحمد بن رشيد بن خثيم الهلالي قال: حدثني عمي سعيد بن خثيم قال: حدثني مسلم الملائي عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قالَ: جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، لقد أَتيناكَ ومَا لنا بعيرٌ يئطُّ ولا صبيٌّ يغط، ثم أنشدَ:

أَتيناكَ والعذراءُ يدمى لبانُها *** وقد شُغلت أمُّ الصبيِّ عن الطفلِ
وأَلقى بكفَّيهِ الفتى استكانةً *** عن الجوعِ ضعفاً ما يمرُّ وما يحلي
ولا شيءَ مِما يأكلُ الناسُ عندَنا *** سِوى الحنظلِ العاميِّ والعلهزِ الفسلِ
وليسَ لَنا إلا إليكَ فِرارُنا *** وأَين فرارُ الناسِ إلا إلى الرسلِ

فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ يجرُّ رداءَه حتى صعدَ المنبرَ، ثم رفعَ يَديهِ إلى السماءِ فقالَ: (اللهمَّ اسقِنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً غدقاً طبقاً، عاجلاً غيرَ رائثٍ، نافعاً غيرَ ضارٍّ، تملأُ به الضرعَ، وتُنبتُ به الزرعَ، وتُحيي الأرضَ بعد موتِها)، فواللهِ ما ردَّ يَديهِ إلى نحرِهِ حتى أَلقت السماءُ بأَورامِها، وجاءَ أَهلُ البطاحِ يعجبونَ يصيحونَ: يا رسولَ اللهِ الغرقَ الغرقَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : (اللهمَّ حَوالينا ولا عَلينا)، فانجابَ السحابُ حتى أَحدقَ بالمدينةِ كالإكليلِ، فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى بَدت نواجذُهُ ثم قالَ: (أبوطالبٍ لو كانَ حياً لقرَّتْ عَيناهُ، مَن يُنشِدُنا قولَه؟)، فقامَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، كأنَّك أَردتَ قولَه:

وأَبيضَ يُستَسقي الغَمامُ بوجهِهِ *** ثِمالُ اليَتامى عِصمةٌ للأَرامِلِ
يلوذُ به الهُلَّاك مِن آلِ هاشمٍ *** فهُم عندَه في نعمةٍ وفواضِلِ
كذبتُم وبيتِ الله يبري محمداً *** ولمَّا نُقاتل دونَه ونناضلِ
ونسلمُهُ حتى نُصرَّعَ حولَه *** ونذهلَ عن أَبنائِنا والحلائلِ

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : (أَجَلْ)، وقامَ رجلٌ مِن كنانة فقالَ:

لكَ الحمدُ والحمدُ مِمن شكرْ *** سُقينا بوجهِ النبيِّ المطرْ
دَعى اللهَ خالِقَه دعوةً *** إليه وأَشخصَ مِنه البصرْ
ولم يكُ إلا كلَفِّ الرداءِ *** وأَسرعَ حتى رأَينا المطرْ
وفاقَ العَوالي وعمَّ البقاع *** أَغاثَ به اللهُ عليا مضرْ
وكانَ كما قالَه عمُّه *** أبوطالبٍ أبيضُ ذُو غررْ

به اللهُ يَسقيكَ صوبَ الغمامِ *** وهذا العيانُ لِذاكَ الخبرْ
فمَن يشكُر اللهَ يَلْق المزيد *** ومَن يكفُر اللهَ يلْقَ الغيرْ
فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : (إن يكُ شاعرٌ يُحسِنُ فَقد أَحسنتَ)[1].

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) بيان الكلمات الغريبة في الشعر :

الحنظلِ العاميِّ : الحنظلِ :نبت مُر، والعاميِّ: هو منسوب إلى العام؛ لأنه يتخذ في عام الجدب كما قالو للجدب : السنة [٢].

والعلهزِ الفسلِ : هو شيء يتخذونه في سني المجاعة . وقيل: كانوا يخلطون فيه القردان وقيل : شيء ينبت ببلاد بني سليم له أصل كأهل البردي . [٣]، والفسل : وهو الرديء الرذل من كل شيء . يقال : فسلة وافسلة [٤].

ثمالُ اليَتامى: الثمال هو بالضم : الرغوة واحدة ثمالة [٥].

٢)) في الحديث استحباب مدح النبي ﷺ فقد مُدح بهذه الأبيات بل ورغب ﷺ في مَنْ يذكّره بها، وهو مدح حق ، وليس هذا يتعارض مع ما ثبت عنه ﷺ من النهي عن مدح الناس في

([1]) أخرجه الطبراني واللفظ له في الأحاديث الطوال١/ ٢٤٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٤١، والأصبهاني في دلائل النبوة ١٨٤، وابن عبد البر في التمهيد٢٢/ ٦٥، كلهم من طريق : سعيد بن خثيم عن مسلم الملائي، وسعيد بن خثيم بن رشد الهلالي: قال عنه ابن الجنيد عن ابن معين :كوفي ليس به بأس ثقة، قال فقيل ليحيى شيعي، فقال: وشيعي ثقة ، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: هلالي كوفي ثقة، وصحح الترمذي حديثه في وداع السفر. انظر: تهذيب التهذيب٤/ ٢٠، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة٤٣٥/١ وقال أحمد عن الملائي : ضعيف الحديث لا يكتب حديثه، وقال ابن معين : ليس بثقة . انظر: الكامل في ضعفاء الرجال٦/ ٣٠٦، وعلل الترمذي الكبير ٣٨٩، ، قال الحافظ ابن حجر بعد حديث ابن عُمَرَ وهو يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ أبي طَالِبٍ عند البخاري : وَأَبْيَضَ يستسقي الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ** ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ : وَإِسْنَادُ حَدِيثِ أَنَسٍ وَإِنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ لَكِنَّهُ يَصْلُحُ لِلْمُتَابَعَةِ وَقَدْ ذَكَرَهُ بن هِشَامٍ فِي زَوَائِدِهِ فِي السِّيرَةِ تَعْلِيقًا عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ. فتح الباري ٢/ ٤٩٥، قال ابن طاهر المقدسي : وهذا غير محفوظ . ذخيرة الحفاظ١/ ٢٠٥، وقد ذكر قصيدة أبو طالب ابن هشام وقال قبل ذكرها : وحدثني من أثق به. وقال ابن هشام بعد ذكر كثير من أبيات أبي طالب : هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها. سيرة ابن هشام ٢ /١١٧، لكن الحافظ ابن كثير علّق على قوله هذا فقال : قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلّا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات أخر. البداية والنهاية ٣/ ٥٧.

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ١٤١/١، والنهاية ٣٢٣/٣.

(٣) انظر: النهاية في بيان غريب الحديث والأثر٣/ ٢٩٣.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٤٤٧.

(٥) انظر: النهاية ١/ ٢٢٢.

وجوههم ، فإنما ذلك فيما ليس في الممدوح شيء من صفات المدح؛ لكي لا يعجب بنفسه؛ والرسول ﷺ معصوم من ذلك ، وهو أهلٌ للمدح والثناء، وغيره ليس كمثله، قال الإمام القرطبي . رحمه الله . : (فأما تزكية الغير ومدحه له، ففي البخاري من حديث أبي بكرة أن رجلاً ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: (وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ يَقُولُهُ مِرَارًا : إن كان أحدكم مَادِحاً لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إن كان يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ والله حسيبه، ولا يُزَكِّي على اللَّهِ أَحَداً)[1]، فنهى ﷺ أن يفرط في مدح الرجل بما ليس فيه فيدخله في ذلك الإعجاب والكبر، ويظن أنه في الحقيقة بتلك المنزلة فيحمله ذلك على تضييع العمل، وترك الازدياد من الفضل، ولذلك قال ﷺ: (وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ)، وفي الحديث الآخر: (قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ)[2]، حين وصفوه بما ليس فيه. وعلى هذا تأوّل العلماء قوله ﷺ: (احثوا التراب في وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ)[3]، إن المراد به: المدّاحون في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم، حتى يجعلوا ذلك بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنونه، فأما مدح الرجل بما فيه من الفعل الحسن والأمر المحمود؛ ليكون منه ترغيباً له في أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمدّاح، وإن كان قد صار مادحاً بما تكلّم به من جميل القول فيه. وهذا راجع إلى النيات ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾[4]، وقد مُدِح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجوه المدّاحين التراب، ولا أمر بذلك، كقول أبي طالب:

وأَبيضَ يُستَسقي الغَمامُ بوجهِهِ *** ثِمالُ اليَتامى عِصمةٌ للأَرامِلِ

وكمدح العباس وحسان له في شعرهما، ومدحه كعب بن زهيرﷺ، ومدح هو ﷺ أيضاً أصحابه فقال: (إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع)[5])[6].

٣)) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني . رحمه الله . :(وَيُسْتَفَادُ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسِ اسْتِحْبَابُ الِاسْتِشْفَاعِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَأَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَفِيهِ فَضْلُ الْعَبَّاسِ وَفَضْلُ عُمَرَ؛ لِتَوَاضُعِهِ لِلْعَبَّاس ومعرفته بِحقِّهِ)[7].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأدب، بَاب ما يُكْرَهُ من التَّمَادُحِ ح ٥٧١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الشهادات، بَاب ما يُكْرَهُ من الْإِطْنَابِ في الْمَدْحِ وَلْيَقُلْ ما يَعْلَمُ ح٢٥٢٠

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ك: الزهد، بَاب ما جاء في كَرَاهِيَةِ الْمِدْحَةِ وَالْمَدَّاحِينَ ح ٢٣٩٣ وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٠ .

(٥) عزاه المتقي الهندي للعسكري في الأمثال، ولم أجده فيه . والله أعلم . . انظر: كنز العمال ١٤/ ٣٠.

(٦) الجامع لأحكام القران ٥/ ٢٤٧.

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري٢/ ٤٩٧.

٤)) دعاء النبي ﷺ مُستجاب ، ويَعرِفُ طريقه إلى السماء، وكيف لا ! وهو سيّد الأنبياء، وحبيب رب الأرض والسماء ، فلهذا استجاب الله تعالى له الدعاء فسقى الله الناس ببركة دعائه ﷺ، فينبغي للمسلم تقديم الدعاء النبوي المبارك على غيره ثم يتخير من الدعاء أحسنه، ومن الثناء على الله أجمله ثم ليصلِّ على سيدنا رسول الله ﷺ في البدء والختام، فإنه جدير أن يستجاب له، ولا يرد صفر اليدين.

٥)) اهتمام الرسول ﷺ بأمور المسلمين بل وفي حياتهم المعيشية ! فانظر كيف خرج رسول الله ﷺ مُسرعاً يجرُّ رداءَه حتى صعدَ المنبرَ، وفي الحديث :(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[1]، ومن أصبح مُهتماً بالله وبأمر خلقه لأجله سبحانه، وجدَ قُوةً تبعثه على كل صعب فيهون، وبشرى تُغنيه عن كل شيءٍ دونه، وبشرى يُفرق فيها جميع آمال قلبه فتدق الدنيا والآخرة في جنب ذلك الفرح .

وانظر حال المسلمين اليوم ! وهم شذر مذر ، لا همّ لكثير منهم إلا بطنه أو ثوبه أو مسكنه أو مركبه !!! إلا مَنْ رحِمَ ربي.

٦)) وفي الحديث ما يدل على جمال وكمال الحبيب المصطفى ﷺ، وذلك بتلطّفه ورفقه بأصحابه؛ إذْ شكوا القحط ثم لم يلبثوا وقد شكوا غزارة الأمطار والغرق!! فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى بَدت نواجذُهُ الشريفة المباركة، فدعاء :(اللهمَّ حَوالينا ولا عَلينا)، وقد ألّف الإمام أحمد بن محمد الصديق الغماري ـ رحمه الله ـ جزءاً حديثياً أسماه: شوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة ، جمع فيه ـ وليس على سبيل الاستقصاء ـ الأحاديث التي ورد فيها أن الرسول ﷺ ظهرت نواجذه الشريفة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

---

(١) أخرجه الطبراني واللفظ له في معجمه الأوسط ٧/ ٢٧٠، وقال: لا يروى هذا الحديث عن حذيفة إلا بهذا الإسناد تفرد به عبد الله بن أبي جعفر الرازي. وفي معجمه الصغير٢/ ١٣١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبدالله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. مجمع الزوائد١/ ٨٧، وقد ذكر له السيوطي طرقاً للحديث . انظر: اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة٢/٢٦٧ ، والمقاصد الحسنة للسخاوي ٦٧٠.

المبحث العاشر

كمال عفو الرسول ﷺ ، فالعفو عند رسول مأمول

قال الإمام الطبراني . رحمه الله . : حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بن رَمَاحِيٍّ الْجُشَمِيُّ ثنا أبو عَمْرٍو زِيَادُ بن طَارِقٍ، وكان قد لَبِثَ عليه عِشْرُونَ ومئة سَنَةٍ، قال: سمعت أَبَا جَرْوَلٍ زُهَيْرَ بن صُرَدٍ الْجُشَمِيَّ، يقول: لَمَّا أَسَرَنَا رسول اللَّهِ ﷺ يوم حُنَيْنٍ يوم هَوَازِنَ وَذَهَبَ يُفَرِّقُ الشُّبَّانَ وَالسَّبْيَ أَنْشَدْتُهُ هذا الشَّعْرَ :

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ في كَرَمٍ *** فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ ونَنْتَظِرُ
امْنُنْ على بَيْضَةٍ قد عَاقَهَا قَدَرٌ *** مُفَرَّقاً شَمْلُهَا في دَهْرِهَا غِيَرُ
أَبْقَتْ لنا الدَّهْرَ هَتَّافاً على حُزُنٍ *** على قُلُوبِهِمُ الْغَمَّاءُ وَالْغُمُرُ
إن لم تَدَارَكْهُمُ نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا *** يا أَرْجَحَ الناس حِلْماً حين يُخْتَبَرُ
امْنُنْ على نِسْوَةٍ قد كُنْتَ تَرْضَعُهَا *** وَإِذْ يَزِينُكَ ما تَأْتِي وما تَذَرُ
لا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ *** فَاسْتَبِقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهِرُ
إِنَّا لَنَشْكُرُ لِلنَّعْمَاءِ إِذْ كُفِرَتْ *** وَعِنْدَنَا بَعْدَ هذا الْيَوْمِ مُدَّخَرُ
فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ من قد كُنْتَ تَرْضَعُهُ *** من أُمَّهَاتِكَ إِنَّ الْعَفْوَ مُشْتَهَرُ
يا خَيْرَ من مَرَحَتْ كَمْتُ الْجِيَادِ بِهِ *** عِنْدَ الْهَيَّاجِ إذا ما اسْتَوْقَدَ الشَّرَرُ
إِنَّا نُؤَمِّلُ عَفْواً مِنْكَ نَلْبَسُهُ *** هَادِي الْبَرِيَّةِ إِذْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ
فَاعْفُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أنت رَاهِبُهُ *** يوم الْقِيَامَةِ إِذْ يَهْدِي لك الظُّفَرُ

فلما سمع هذا الشَّعْرَ، قال:(ما كان لي وَلِبَنِي عبد الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ)، وَقَالَتْ: قُرَيْشٌ ما كان لنا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَقَالَتِ: الأَنْصَارُ ما كان لنا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ)[1].

([1]) أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة الكبير واللفظ منه ٢٦٩/٥، والأوسط٤٥/٥، وقال: لم يروه عن زهير بن صرد بهذا التمام إلا بهذا الإسناد تفرّد به عبيد الله ، والصغير ٣٩٥/١، وابن جرير الطبري في تاريخه٢/ ١٧٣، وابن الأعرابي في معجمه ٩٤٩/٣، والخطيب في تاريخ بغداد٥٩٩/٧، والبيهقي في دلائل النبوة١٩٤/٥، وأخرجه بإسناده ابن حجر العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ص٣٩، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه رواه الطبراني وأبو سعيد ابن الأعرابي في معجميهما عن عبيد الله بن رُماحِس، وقد وقع لنا عالياً جداً في المعجم الصغير للطبراني أمليته في العشرة العشارية ورواه أبو الحسين ابن قانع في معجم الصحابة عن عبيد الله بن علي الخواص عن عبيد الله بن رُماحِس، فوقع لنا بدلاً عالياً، ولهذا من رواية ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما كان يوم حنين فذكر القصة، وسياقه أتم، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة من حديث زهير بن صرد، واستشهد به بحديث عمرو بن شعيب فهو عنده على شرط الحسن. الإمتاع بالأربعين ٣٨ .

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمها :

١)) بيان بعض الكلمات الغريبة في الشعر:

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : البيضة: الجماعة والهتاف جمع هاتف والْغَمَّاءُ: من الغم. والْغُمُرُ: الشدائد جمع غمرة بفتح المعجمة. والدِر: بكسر الدال جمع درة. والكَمْتُ: جمع كميت، والكميت : لون ليس بأشقر ولا أدهم، والكميت من الخيل ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ولونه الكمتة ، وهي حمرة يدخلها قنوء تقول منه : اكمت الفرس اكمتاتاً [(١)]، والْجِيَاد: الخيل. وشَالَتْ نَعَامَتُهُ: يقال لمن مات: وشالت أي: ارتفقت النعامة باطن القدم مأخوذ من ارتفاع قوائم الدابة إذا ماتت [(٢)].

٢)) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : أطلق لهم الذرية وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً حتى قال أبو الحسين بن فارس: فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم، فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة ؟ [(٣)].

٣)) وفي الحديث حل الغنائم والسبي للمسلمين، وهو من خصوصيّات هذه الأمة، ومع هذا يجوز التخلي عنها عن طيب نفس، وهو من شيم الكرام، وقُدوتنا في ذلك خير الأنام ﷺ، فانظر رحمك الله كيف عفا رسول الله ﷺ عن قبيلة هوازن، وفك أسرهم بعدما سمع هذه القصيدة العصماء؛ لِما لها من أثرٍ بالغ ولما اشتملت عليه من كلمات الاستعطاف والرجاء ، وتعداد لصفات نبي الرحمة ﷺ ، فيا لها من روْعة البيان، وأعظم منها الإحسان، هذا هو خلق النبي الكريم ﷺ الذي أمره تعالى بقوله :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [(٤)]، ولهذا قال السلف : ثلاثة من أخلاق أهل الجنة لا توجد إلا في الكريم: الإحسان إلى من أساء إليه، والعفو عمن ظلمه، والبذل لمن حرمه، وهذه الثلاثة موافقة لما في الآية السابقة.

٤)) قمّة الاتباع للصحابة الكرام ﷺ في اتباعهم لرسول الله ﷺ في تنازلهم عن حقوقهم من السبي وغيره؛ ابتغى الأجر ونيل الثواب، فلله درهم من رجال أبطال، يعرفون وقت الشدائد**!!**

٤٠، وانظر: فتح الباري ٨/ ٣٤.

(١) انظر: لسان العرب ٢/ ٨١، مادة كمت.

(٢) انظر: الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ص٤٠.

(٣) انظر: البداية والنهاية٢/ ٢٧٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٩٩.

المبحث الحادي عشر

الدفاع عن رسول الله ﷺ.

عن عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (**اهْجُوا قُرَيْشًا فإنه أَشَدُّ عليها من رَشْقٍ بِالنَّبْلِ)** فَأَرْسَلَ إلى ابن رَوَاحَةَ، فقال:(**اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ)** فلم يُرْضِ فَأَرْسَلَ إلى كَعْبِ بن مَالِكٍ ثُمَّ أَرْسَلَ إلى حَسَّانَ بن ثَابِتٍ، فلما دخل عليه قال حَسَّانُ: قد آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إلى هذا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ثُمَّ ادلع لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ فقال: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ : **(لَا تَعْجَلْ فان أَبَا بَكْرٍ اعلم قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وإن لي فِيهِمْ نَسَباً حتى يُلَخِّصَ لك نَسَبِي)**، فاتاه حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ قد لَخَّصَ لي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ من الْعَجِينِ، قالت عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول لِحَسَّانَ: (**إن رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ ما نَافَحْتَ عن اللَّهِ وَرَسُولِهِ)**، وَقَالَتْ سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: (**هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى)**، قال حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عنه * وَعِنْدَ اللَّهِ في ذَاكَ الْجَزَاءُ**

هَجَوْتَ مُحَمَّداً بَرّاً تقياً * رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ**

فإن أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي * لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ**

تَكِلْتُ بُنَيَّتِي إن لم تَرَوْهَا * تُثِيرُ النَّقْعَ من كَنَفَيْ كَدَاءِ**

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ * على أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ**

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ * تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ**

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا * وكان الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ**

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ * يُعِزُّ الله فيه من يَشَاءُ**

وقال الله قد أَرْسَلْتُ عَبْدًا * يقول الْحَقَّ ليس بِهِ خَفَاءُ**

وقال الله قد يَسَّرْتُ جُنْداً * هُمْ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ**

لنا في كل يَوْمٍ من مَعَدٍّ * سِبَابٌ أو قِتَالٌ أو هِجَاءُ**

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ * وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ**

وَجِبْرِيلٌ رسول اللَّهِ فِينَا * وَرُوحُ الْقُدُسِ ليس له كِفَاءُ** [1].

ويستفاد من الحديث فوائد كثيرة فمن أهمّها :

١)) بيان بعض الكلمات الغريبة في الحديث والشعر:

المنافحة: المخاصمة، **وروح القدس:** جبريل عليه السلام، **والتأييد:** التقوية، **ورشق النبل:** رمي النبل بالفتح المصدر، يقول: رشقت رشقًا وبالكثير لوجهه من الرمي إذا رموا بأجمعهم قالوا: رمينا رِشقًا. **وأدلع لسانه:** أي أخرجه، ودلع لسانه، يتعدى ولا يتعدى. **ولأفرينهم:** أي: لأقطعنهم على جهة الإفساد، يقول: أفريت الشيء إذا قطعته على وجه الإفساد، وفريته: إذا قطعته على وجه الإصلاح. وفري الأديم قطع الجزّار إياه. **والبَر:** بفتح الباء الواسع الخير والنفع، والمراد هنا الأول. **ومصعدات** أي: مقبلات إليكم، **والخُمر:** بضم الخاء المعجمة ويروى بالخمر بفتح الميم جمع خمرة والأول أشهر وأبلغ. **وعرضتها:** بضم العين أي مقصودها ومطلوبها. **والحنيف:** المائل عن الأديان إلى الإسلام. **وشيمته** أي: خلقه، وقد احتج ابن قتيبة بقول حسان: فإن أبي ووالده ... البيت، لمذهبه أن عِرض الإنسان هو نفسه لا أسلافه، لأنه ذكر عرضه وأسلافه بالعطف، وقال غيره: عرض الإنسان هو أموره كلها، التي يحمد بها ويذم من نفسه وأسلافه، وكل ما لحقه نقص بسببه. **والنقع:** الغبار، وإثارته نشره، وإظهاره في الحق. **وكداء:** الممدود بفتح الكاف، وهو بأعلى مكة عند المقبرة، وتسمى الناحية: المعلا. وهنالك **المحصّب** وليس بمحصب مني، وكدى بالقصر والضم مصروفا وهو بأسفل مكة، وهو شعب الشافعين عند قعيقعان. **والأسل:** الرماح، وهو في الأصل: نبات له أغصان دقاق طوال. **والظماء:** جمع ظامىء، وهو العطشان، جعل الرماح عطاشا، إلى ورود الدماء استعارة، فهي إلى ذلك أسرع كمسارعة العطشان إلى ورود الماء. **ومتمطّرات:** مسرعات يقال: مطر الفرس يمطر مطرًا إذا أسرع، وتمطّر تمطّرًا: مثله . **واللطيمة:** الحمال الذي يحمل العطر، والزفير المبرة، ولطائم المسك أو عينه، ومعنى يلطمهن بالخمر النساء أي ينفضن ما عليها من العبار فاستعار له اللطم [2].

٢)) قال ابن سيرين . رحمه الله .: انتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار : حسان ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ﷺ، فكان حسان وكعب يعارضانهم ، مثل قولهم في

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ك: فضائل الصحابة ﷺ، باب: فضائل حسان بن ثابت ⁸ ح ٢٤٩٠.

(2) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٥٠.

الوقائع والأيام والمآثر، ويذكرون مثالبهم ، وكان عبد الله ابن رواحة يعيّرهم بالكفر وبعبادة ما لا يسمع ولا ينفع ، فكان قوله أهون القول عليهم ، وكان قول حسان وكعب ﷺ أشد القول عليهم ، فلمّا أسلموا وفَقِهوا كان قول عبد الله أشدَّ القول عليهم . قال أبو عبيدة . رحمه الله .: فَضَل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ﷺ في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام ، وقال أيضاً: أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف ، وعلى أن أشعر أهل المدر حسان . وقال الأصمعي . رحمه الله .: الشعر نَكِد يقوى في الشر ويسهل ؛ فإذا دخل في الخير يضعف؛ لأن هذا حسانَ كان من فحول الشعراء في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره . وقيل لحسان : لَانَ شعرك وهرِم يا أبا الحسام ؛ فقال للسائل : يا ابن أخي ، إن الإسلام يحجُز عن الكذب . يعني أن الإجادة في الشعر هو الإفراط في الذي يقوله ، وهو كذب يمنع الإسلام منه ، فلا يجيء الشعر جيداً [١].

٣)) قال الإمام النووي . رحمه الله . : جَوَازُ هَجْوِ الكفار مالم يَكُنْ أَمَانٌ وَأَنَّهُ لَا غِيبَةَ فِيهِ، وَأَمَّا أَمْرُهُ ﷺ بِهِجَائِهِمْ وَطَلَبُهُ ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ وَلَمْ يَرْضَ قَوْلَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي حَتَّى أَمَرَ حَسَّانَ، فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ النِّكَايَةُ فِي الْكُفَّارِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجِهَادِ فِي الْكُفَّارِ وَالْإِغْلَاظِ عَلَيْهِمْ وَكَانَ هَذَا الْهَجْوُ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ فَكَانَ مَنْدُوباً لِذَلِكَ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ كَفِّ أَذَاهُمْ، وَبَيَانِ نَقْصِهِمْ وَالِانْتِصَارِ بِهِجَائِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُبْدَأَ الْمُشْرِكُونَ بِالسَّبِّ وَالْهِجَاءِ مَخَافَةً مِنْ سَبِّهِمُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ [٢]، وَلِتَنْزِيهِ أَلْسِنَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْفُحْشِ إِلَّا أَنْ تدعو إلى ذلك ضرورة لابتدائهم به فيكف أَذَاهُمْ وَنَحْوَهُ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ [٣].

٤)) من كمال قوة الإيمان تقديم عِرض رسول الله ﷺ على النفس والولد والوالد والأهل والعرض كما قال حسان ﷺ: فإن أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي *** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ.

فأعظم بها من محبة صادقة خالصة صافية .

٥)) الصحابي الجليل شاعر الرسول الكريم ﷺ ، حسّان بن ثابت ﷺ يُقدِّم عِرضه على عِرض رسوله ﷺ فيقول : وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ، فكيف بعد هذا يُقوّل فيه بما لا يليق؟! إنه صحابي جليل ومنافح عن الإسلام ونبي الإسلام ﷺ ، ولهذا استغرب الحافظ ابن

---

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/٣٤٤.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١٦/ ٤٩.

كثير . رحمه الله . ما نُسب لسيدنا حسان في حادثة الإفك وردَّه ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [1]، قيل: ابتدأ به، وقيل: الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه (لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أي: على ذلك ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي ابن سلول(٢) قبحه الله ولعنه، وهو الذي تقدّم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد، وقيل: المراد به حسان بن ثابت، وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره أنه كان يذبّ عن رسول الله ﷺ بشعره، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ : (هاجم وجبريل معك)، وقال الأعمش: عن أبي الضحى عن مسروق قال: كنت عند عائشة ﵂ فدخل حسان بن ثابت، فأمرت فألقي له وِسادة، فلمّا خرج قلتُ لعائشة: ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك، وفي رواية: أتأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله : ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، قالت: وأي عذاب أشد من العمى، وكان قد ذهب بصره ، لعلّ الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم، ثم قالت: إنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ وفي رواية: أنه أنشدها عندما دخل عليها شعراً يمتدحها به فقال: حصانٌ رزانٌ ما تزن بريبةٍ * وتصبح غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ، فقالت: أما أنت فلَسْتَ كَذَاكَ ، وفي رواية لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ[3])[4].

وأخرج ابن جرير الطبري بسنده عن عائشة ﵂ قالت: (مَا سَمِعتُ بِشَيْءٍ أحسن من شعر حسان، وَمَا تمثلتُ بِهِ إِلَّا رَجَوْت لَهُ الْجنَّة، قوله لأبي سفيان:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ *** وَعِنْدَ الله في ذاكَ الجَزَاءُ

فإنَّ أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضي *** لِعِرْضِ مُحمّدٍ مِنْكُمْ وقاءُ...)[5].

وقال الإمام القرطبي . رحمه الله . : (وَحَكَى أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ عَائِشَةَ بَرَّأَتْ حَسَّانَ مِنَ الْفِرْيَةِ، وَقَالَتْ: إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً. وَقَدْ أَنْكَرَ حَسَّانُ أَنْ يَكُونَ قَالَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ *** وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

---

(١) سورة النور: ١١.

(٢) وهذا القول هو الراجح دليلاً ، وقال به أئمة المسلمين ومشاهيرهم، ومنهم ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان ١٢٠/١٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ك: المغازي، بَاب حديث الْإِفْكِ ح ٣٩١٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٧٤.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ١١٧/١٩.

حَلِيلَةُ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا *** نَبِيِّ الْهُدَى وَالْمَكْرُمَاتِ الْفَوَاضِلِ

عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ *** كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهَا غَيْرُ زَائِلِ

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيمَهَا *** وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ شَيْنٍ وَبَاطِلِ

فَإِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتِ أَنِّي قُلْتُهُ *** فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي

فَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِي *** لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ المحافل

له رُتَبٌ عالٍ على النَّاسِ فَضْلُهَا *** تَقَاصَرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ[1]

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَهَا: حَصَانٌ رَزَانٌ، قَالَتْ لَهُ: لَسْتُ كَذَلِكَ، تُرِيدُ أَنَّكَ وَقَعْتَ فِي الْغَوَافِلِ. وَهَذَا تَعَارُضٌ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنْ يُقَالَ: إن حسانا لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ نَصًّا وَتَصْرِيحًا، وَيَكُونُ عَرَّضَ بِذَلِكَ وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ فَنُسِبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ أعلم)[2].

(١) أخرج هذه الأبيات أبو يعلى في مسنده ٨/ ٣٣٧ ، والطبراني في معجمه الكبير٢٣/ ١١٦، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى في حديث طويل ورجاله رجال الصحيح غير حوثرة بن أشرس وهو ثقة.٩/ ٥١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن١٢/٢٠٠.

الخاتمة

أهم النتائج

تتلخص أهم النتائج من هذا البحث فيما يأتي :

١. اعتناء الإسلام بالشعر الحسن، وجعله وسيلة لنشر الخير والفضائل، والدفاع عن مقدّسات الإسلام وأخلاقه .

٢. تأييد النبي ﷺ لسماع الشعر بل وتشجيعه له ؛ لأثره الطيّب في النفوس .

٣. للشعر أثر طيّب قوي في تحريك الوجدان، وتميل إليه النفوس بطبعها وتعشقه، فينبغي استغلاله في الخير والفضائل.

٤. للشعر الرصين والخطب البليغة أثر في تغيير المواقف حسنة كانت أو سيئة.

٥. يتصف شعر الرعيل الأول من الصحابة الكرام ﷺ بالإتقان والجودة والجزالة والفصاحة والبيان، وسهولة الوصول للمطلوب بطريقة أيسر وأسهل .

٦. شعر الصحابة ﷺ كله مسخّر في خدمة الإسلام، والدعوة إليه، والدفاع عنه، وعن نبي الإسلام حبيبهم ونبيّهم، من هداهم الله تعالى به من الضلالة رسول الله ﷺ ومدحه.

أهم التوصيات :

١. أوصي الباحثين بالعناية بشعر شُعراء الرسول ﷺ من الصحابة ﷺ وغيرهم ممّن جاء بعدهم؛ لأهميته في إدراك المعاني المقصودة من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ؛ ولأن القرآن نزل بلُغتهم.

٢. جمْعُ الكثير من القصائد الشعريّة، والخُطب التي قِيلت في حضرة الرسول ﷺ أو في عصره المبارك، ودراستها والاستفادة منها؛ لمعرفة مقاصد العرب ، وإدراك جواهر كلامهم؛ للاستعانة بها في فهم الشريعة الغرّاء .

وفي الأخير هذه بعض المواقف، وبعض الدروس والعبر المستفادة منها، وهي غيض من فيض، فكم في السنة المشرّفة من أدبيّات، وذوقيّات ، ومواقف في طيّها عِظات ، وقصائد ببواطنها أصداف ومجوهرات، وما ذُكر هُنا إلا لشحذ الهمم ، من أجل تتبّع مثل هذه المواقف وهذه الأحداث، لتستدرّ منها النفحات والرحمات ، كيف لا ؟ ومُحكِّمها سيد السادات ، وسيد العرب والعجم، أفصح من نطق بالضاد، رسول الله ﷺ ، أسأل الله تعالى لي في جمعي هذا الأجر والمثوبة ، وأن يوفقني لما فيه خير في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . بقلم زين بن محمد بن حسين العيدروس، ١/ ذو القعدة ١٤٣٦هـ

٢٠١٥/٨/١٦م المكلا ـ حضرموت

فهرس المصادر والمراجع

ـ الآحاد والمثاني، لأحمد بن عمرو أبو بكر الشيباني، تح: د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١ – ١٩٩١.

ـ أحكام القرآن، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٩٦م– ١٤١٦هـ.

ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تح: شعيب الأرنؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

ـ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، للنووي، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن عبد الملك القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر،ط٧، ١٣٢٣ هـ.

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

ـ الإشراف في منازل الأشراف، لأبي بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، تح: د نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

ـ أعلام النبوة، لأبي الحسن علي للماوردي، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

ـ الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان الكلاعي، تح: د . محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ.

ـ الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محمد حسن محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٩ هـ.

ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني الحنفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

ـ البداية والنهاية ، لإسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

ـ تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

ـ تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، تح: د بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي،ط١، ٢٠٠٣ م.

ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تح: محب الدين أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر.

ـ تحفة المحتاج بشرح المنهاج الهيتمي مع حاشية الشرواني، لأحمد حجر الهيتمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ تفسير القرآن العظيم ، لعبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي، تح: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تح: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن ، لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تح:أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تح: الدكتور محمد الأحمدي ، دار السلام،ط٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

ـ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد عرفه الدسوقي، تح: محمد عليش، دار الفكر، بيروت.

ـ دلائل النبوة ، لأحمد بن الحسين البيهقي، تح: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ـ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

ـ سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

ـ سنن الدار قطني، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، تح: عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ – ١٩٦٦.

ـ السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤م.

ـ سنن النسائي المجتبى، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

ـ السيرة النبوية ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تح: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

ـ سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

ـ شرح سنن ابن ماجه - الإعلام بسنته عليه السلام، لمغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري، تح :كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة،ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

ـ شرح صحيح مسلم ، لأبي زكريا يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

ـ شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين الطيبي، تح: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز ،مكة المكرمة ،ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

ـ شرح مشكل الآثار، لأحمد بن محمد أبو جعفر الطحاوي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

ـ شرح معاني الآثار، لأحمد بن محمد أبو جعفر الطحاوي، تح: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

ـ شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي، تح: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، كتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان البستي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ — ١٩٩٣م.

ـ صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

ـ صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

ـ علل الحديث ، لعبد الرحمن بن محمد الرازي أبو حاتم، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

ـ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف — الرياض،ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

ـ فتاوى ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي، تح:د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ١٤٠٧هـ.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تح: علي حسين علي، مكتبة السنة — مصر،ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

ـ الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية.

ـ فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تح: د. وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ — ١٩٨٣.

ـ الفوائد (الغيلانيات) ، لأبي بكر محمد عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز، تح:حلمي كامل، دار ابن الجوزي - السعودية / الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

ـ فيض الباري على صحيح البخاري، لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري، تح: محمد بدر عالم الميرتهي،

دار الكتب العلمية بيروت،ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لعبد الرؤوف المناوي، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، عام ١٣٥٦هـ.

ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ كشاف القناع عن متن الإقناع ، لمنصور بن يونس البهوتي، تح: هلال مصيلحي مصطفى ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تح:علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، : ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

ـ المجموع شرح المهذب، ليحيى شرف الدين لنووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

ـ المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، لأحمد بن الصديق الغماري، دار الكتب المصرية، ط١، عام ١٩٩٦م.

ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان القاري، تح: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

ـ المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.

ـ مسند أبي يعلى ، لأحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث . دمشق، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، دار مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢١ هـ .

ـ مسند البزار. البحر الزخار . ، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار، تح: د. محفوظ الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٩هـ.

ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تح: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

ـ مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

ـ معاني القرآن ، لأبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي المعروف بالأخفش، تح: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

ـ المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد وآخر، دار الحرمين ، القاهرة، ١٤١٥هـ.

ـ المعجم الصغير. الروض الداني . ، لسليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تح: محمد شكور محمود ، دار عمار،

بيروت، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.

ـ المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد ، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.

ـ معرفة الصحابة ،لأبي نعيم الأصبهاني ، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض،ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

ـ المغني ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تح: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي.

ـ نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، لجمال الدين أبو محمد عبد الله الزيلعي، تح:محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر – بيروت،ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ـ نهاية الزين في إرشاد المبتدئين لمحمد النووي الجاوي، دار الفكر، بيروت.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تح: طاهر أحمد الزاوى وآخر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، ١٩٧٣م.